من علماء القرن الثامن الهجرى

القاضى

شهاب الدين العمرى

رائد كتاب المصطلح الشريف

دكتور

عبد الرحمن أمين صادق أبو راس

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري
واحلل عقدة من لساني يفقهو قولي

(طه ٢٥ -٢٨)

المقدمة

القـرن الثـامن الهـجـرى من القـرون الهـامـة فى تاريخ العلوم الإسـلامـيـة ، وبالأخص بالديار المصرية زمن سـلاطين المماليك. وقـد ظهر فيه عدد كبير من العلماء الأجلاء، الذين أثروا المكتبة العربية خاصة، والمكتبة الإسلامية عامة ، بكثير من المؤلفات المتنوعة فى الفروع المختلفة للعلوم الإسلامية.

وليس من السـهـل والميسـور أن نعـدد علمـاء هذا القرن الهـام؛ وذلك لكثـرتهم الكاثرة ، وعـددهم الذى لايحـصى حـتى أن العـلامـة وشيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى أحد أبرز أعـلام القـرن التـاسع الهـجرى ، قـد ترجم فى كـتـابه الخـاص لأعلام القرن الثامن الهجرى ، والموسوم بـ " الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة" لخمسة آلاف وثلاثمائة وعشرين علما، أكثر من نصفهم تقريبا من العلماء بمختلف اتجاهاتهم العلمية.

ومن هؤلاء عدد كبير لهم مؤلفات قيمة ، وموسوعات عريضة . حتى ولو قيل أن أغلب تآليف هذا القرن عبارة عن موسوعات وشروح لعلوم ومعارف ظهرت فى القرون السابقة إلا أن القرن الثامن لم يخلو دون شك من النبـغـاء والنجبـاء والمجتـهـدين ، الذين لهم جـهـد واضح ومـشكور ، فى أكـثـر من فـرع من فـروع العلوم الشـرعـيـة ؛ من فـقـه وتفـسـيـر وحديث- والعلوم اللغـوية والأدبيـة ، والفلسـفـيـة ، والعلوم التاريخية والجغرافية ، وغيرها .

والقاضى شهاب الدين ابن فضل الله العمرى أحد أعلام هذا القرن الشهير، وأحد العلامات البارزة فيه ، وأحد المحطات الرئيسية التى تجبر المثقفين للوقوف عنده، وكيف لا وهو رائد مؤلفى كتب المصطلح الشريف ، أحد العلوم الكتابية الهامة ، والتى لاغنى عنها فى سياسة الملك بالدواوين الخليفية والدواوين السلطانية.

وقد ظلت الكتابة وعلومها وبالأخص الكتابة الإنشائية فى تطورها المستمر عبر الأزمنة التاريخية المختلفة فى العصور الإسلامية، ومنذ أول ظهور الكاتب فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى استقرت قواعدها وضوابطها فى القرن الثامن الهجرى على يد الكاتب البارع، وفارس فرسان الكتابة الإنشائية وزعيمها بلا منازع ، ومهندس كتب المصطلح الشريف ، القاضى شهاب الدين العمرى، الذى أثرى المكتبة العربية والإسلامية بواحد من أهم الكتب المؤلفة فى القرن الثامن الهجرى وعصر سلاطين المماليك، ألا وهو كتاب "التعريف بالمصطلح الشريف " وذلك بخلاف كتابه الشهير " مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار .

ولما كان القاضى شهاب الدين العمرى فى صدارة كتاب المصطلح الشريف، ورائدا لهم ، ولما كان كتابه " التعريف" نبراسا لهذا اللون الفريد من الكتب الدبلوماسية؛ أردت أن ألقى الأضواء على هذا الكاتب الفذ، وفارس فرسان كتب المصطلح الشريف فى القرن الثامن وماتلاه من قرون زمن سلاطين المماليك، حتى نتعرف عليه، وعلى حياته وعلمه عن قرب ، ونبرز ماكان له من تأثير بالغ على جيله وعلى أجيال من الكتاب من بعده قرونا طويلا.

وذلك عرفانا منى للدور الرائد للقاضى شهاب الدين العمرى، فى إثراء الثقافة العربية خاصة ، والثقافة الإسلامية عامة بعلوم ومعارف شتى ، وعلى وجه الخصوص بهذا الفن الرفيع من جهة، وتعريفا به وبأسرته الديوانية لمن لم يكن لديه حظ فى القرب منه وإدراك معارفه من جهة أخرى .. علما بأن ماكتب عن العلامة شهاب الدين العمرى حتى الآن لايفى بما لهذا العالم من جهد مشكور، وعلم مبرور.

كذلك يهمنا فى هذا الصدد أيضا أن نتعرف على ماهية كتب المصطلح ، وتطور الكتابة بجميع أشكالها إلى أن وصلت فى تطورها إلى مايعرف بكتب المصطلح الشريف. وخصوصا وأن هناك من يجهل حتى الآن دور كتب المصطلح الشريف فى الكتابة الإنشائية وعلاقتها بالدواوين السلطانية، وغيرها، وأثرها العظيم فى سياسة الملك وأدوارها ؛ حتى إلى درجة أن هناك من يخلط بينها وبين كتب مصطلح الحديث ، وذلك مع مابينهما من بون شاسع ، وعلم مغاير.

وللعلم : قمت بتحقيق هذا الكتاب بالكامل وهو الآن تحت الطبع.

* * * * *

هذا وبالله التوفيق ،،

دكتور

عبد الرحمن أبو راس

تمهيد :

الكتابة والمصطلح الشريف

مما لاشك فيه أن البداية الحقيقية للحضارة الإنسانية كانت بمعرفة الكتابة؛ فبها تميزت الأمم المتحضرة عن غيرها من سائر الأمم، وبها بدأت قفزاتها الحضارية الكبرى ، وصولا إلى المعرفة والعلم. ومن هنا كان ظهور الكتابة بداية للتاريخ الحضارى لجميع الأمم والشعوب.

وقد ظهرت أهمية الكتابة ، وعظيم فائدتها فى التاريخ الإسلامى منذ أول وهلة بعث فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنذ أول لقاء بين رسول السماء جبريل عليه السلام، ورسول الأرض محمد عليه الصلاة والسلام؛ إذ يقول الله فى محكم آياته لنبيه الكريم ، فى أول تبليغ سماوى :"اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم"[1].

وإذا كان العلم هو القدر الذى امتاز به أبو البشرية آدم عليه السلام على الملائكة ، حتى استوجب به سجودهم له بأمر الله تعالى؛ وذلك على مايتضح فى قوله تعالى:" وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.

---

(١) سورة العلق ، آية ١-٥.

قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون، وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين" [١]. فإن العلم لايتأتى إلا من طرق ثلاث ، فهو تارة يكون فى الأذهان ، وتارة يكون فى اللسان، وتارة يكون فى الكتابة بالبنان، كما جاء فى الأثر " قيدوا العلم بالكتابة" [٢] .

ولما كان القلم هو الوسيلة الأولى لقيد الكتابة كان ذكره فى أول سورة نزلت على رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، عندما نزل جبريل عليه السلام على النبى عليه الصلاة والسلام وهو يتعبد بغار حراء [٣].

ولاينتهى أمر القلم عند حد ذكره فى أول سورة نزلت فى القرآن الكريم. بل إن القلم لخطورته وأهميته وشرفه، أول مخلوقات الله تعالى ، فعن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أول ماخلق الله تعالى القلم، ثم خلق النون وهى الدواة. وذلك قوله تعالى:"ن والقلم" ثم قال له اكتب.قال وما أكتب ؟ قال:

---

(١) سورة البقرة، الآية ٣٢-٣٤ ، وانظر فى تفسير هذه الآيات ، أبو الفدا ابن كثير: تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ٧٢، ٧٣ جـ٤ص٥٢٨.

(٢) أبو الفدا ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، جـ٤ ص ٥٢٨.

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ١ ص ٢٣٦، ٢٣٧.

ماكان وماهو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أجل، أو رزق أو أثر. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة[(١)].

كذلك روى مجاهد عن ابن عمر قال: " خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده، ثم قال لسائر الحيوان كن : فكان القلم، والعرش، وجنة عدن ، وآدم عليه السلام"[(٢)].

ولكل هذا الشرف الذى اختص به القلم كان قسمه سبحانه وتعالى بالقلم؛ وذلك لما فيه من البيان كاللسان يقول الله تعالى مقسما :"ن والقلم ومايسطرون"[(٣)]يقول أبو الفتح البستى[(٤)] فى هذا الشأن :

إذا أقسم الأبطال يوما بسيفهم ... وعدوه مما يكسب المجد والكرم

كفى قلم الكتاب عزا ورفعة ... مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم[(٥)]

---

(١) القرطبى ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى : الجامع لأحكام القرآن جـ١٠ص ١٩٥٠.

(٢) القرطبى : المصدر السابق ، جـ١٠ ص ٧٤٦٠.

(٣) سورة القلم ، الآية ١.

(٤) هو : على بن محمد بن الحسين بن يوسف الكاتب ، شاعر وقته ، وأديب ناحيته، المتوفى سنة ٤٠٠هـ أو ٤٠١هـ/ ١٠١٠م ، ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ١١ص٣٤٥، ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٣ ص ١٥٩.

(٥) القرطبى : المصدر السابق ، جـ١٠ ص ٦٩٥٢.

كذلك أقسم الله تعالى بأداة أخرى من أدوات الكتابة، وذلك في قوله تعالى أيضا: "ن والقلم" وذلك في رأى من ذهب على أن "ن" هي الداوة ، أو اللوح ، أو حتى الحوت على أساس أن الحوت المقسم به يستخرج منه شئ أشد سوادا من النقس [١] يكتب به [٢].

ومن الواضح أن القسم لايقع منه سبحانه وتعالى إلا بشريف ما أبدع ، وكريم ما اخترع ، كالشمس والقمر، والنجوم والفجر ونحوهم إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرفها ورفعة قدرها.

ومن هنا كانت الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها ، وأربح البضائع وأنفعها ، وأفضل المآثر وأعلاها . وقد زادها الله تشريفا عندما وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته، حيث قال الله تعالى : "وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين" [٣].

ولكل هذا الشرف العظيم الذى اختصت به الكتابة وأدواتها ، أطنب السلف فى مدح الكتابة، وذهبوا بعيدا فى الحث عليها والحرص على تعانيها ، حتى قيل: " من لم يكتب فيمينه يسرى"

---

(١) النقس : بكسر النون : المداد، الفيروزابادى : القاموس المحيط ، فصل النون باب السين .

(٢) البيضاوى عبد الله بن عمر الشيرازى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص٧٥١.

(٣) سورة الانفطار ، الآية ١٠ ، ١١ .

وقيل: اذا لم تكتب اليد فهى رجل " بل وبالغ البعض فقال : " لا ديه ليد لاتكتب [١].

ولما كانت الكتابة -كما رأينا - من أشرف الصنائع وأنفعها كانت من أشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة ، فهى أس الملك ، وعماد المملكة، وقيل فى هذا الشأن :"كتاب الملوك عيونهم الناظرة، وآذانهم الواعية، وألسنتهم الناطقة. والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة، وهى صناعة جليلة تحتاج إلى آلات كثيرة[٢].

وإذا كانت الكتابة فى عموم توجهاتها قد حازت كل هذا الشرف العظيم ، فإن الكتابة الإنشائية التى تنشأ فى دواوين الخلفاء والسلاطين، ومايجرى مجراهما بمنزلة الريادة منها. وإنسان عينها ، وعين إنسانها ، وذلك لأن الخلفاء والملوك لايلتفتون إلا إليها ، ولايعولون فى المهمات إلا عليها يعظمون أصحابها ، ويقربون كتابها [٣].

ولقد تطورت الكتابة وعلومها وفنونها عبر التاريخ الاسلامى، ولم تتوقف عند علم أو فن . ففى كل عصر من العصور ، وفى كل مصر من الأمصار الإسلامية ، إضافة جديدة فى الكتابة علما كان أو فنا.

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ١ ص ٣٧.

(٢) ابن عبد ربه الأندلسى : العقد الفريد جـ٤ ص ١٦٨.

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى جـ١ ص ٧.

كما واصلت الكتابة الإنشائية رحلتها عبر الأزمنة التاريخية، والأمكنة التعليمية، فى الأقاليم الإسلامية، وهى تزداد روعة وعطاء، وتزدان رونقا وبهاء ، حتى وصلت فى مسرتها الحضارية إلى عصر سلاطين المماليك . وذلك بعد أن قطعت فى رحلتها شوطا بعيدا من الأزمنة والأمكنة، وبعد أن قبست من كل زمان أريجة ، ومن كل مكان زبرجه .

ودون شك كان الفضل الأكبر فى هذا التطور الكبير والمستمر فى علوم الكتابة وفنونها ، يرجع إلى الأجيال المتوالية من العلماء الأجلاء ، الذين اعتكفوا للتأليف فى هذا النوع الرائد من العلوم والفنون، وبلغوا فيه شأوا بعيدا .

وقد اختلفت مقاصد المؤلفين لعلوم الكتابة وفنونها ، كما تباينت مواردهم فى الجمع والتأليف ، فاتجه البعض منهم فى بيان أصول الكتابة، وذكر شواهدها ، واهتم البعض الآخر إلى ذكر المصطلحات وبيان مقاصدها ؛ لأهميتها القصوى عند الديوانيين ، كما جنح البعض الآخر إلى تدوين الرسائل ليقتبس من معانيها ، وتكون أنموذجا لمن يأتى بعدهم[١].

وعلى الرغم من اتهام البعض لعصر سلاطين المماليك بأنه عصر الشروح والمطولات، والنقول لعلوم سبق تأليفها دون إضافة علمية جديدة، إلا أن هذا الاتهام وإن صدق فى بعض العلوم، فإنه

---

(١) القلقشندى : المصدر السابق نفس الجزء ص ٣٧.

يجانب الصدق فى بعضها الآخر ، ومنها العلوم الكتابية ، لاسيما الكتابة الإنشائية.

ذلك أن الكتابة بمعارفها المختلفة ، وإتجاهاتها المتنوعة قد أضيفت لها إضافات واضحة وعميقة فى عصر سلاطين المماليك . فقد أضاف فرسان هذا الجيل من العلماء الكتاب قواعد ودساتير ، ومعارف جديدة ومثمرة فى علم الكتابة الديوانية ، حتى لنكاد نشعر بأن علما جديدا قد أضيف لعلوم الكتابة وفنونها. وقد وضحت هذه الإضافة فى جلاء فى الكتب التى عرفت بكتب المصطلح الشريف، آخر ما وصلت إليها الكتابة الإنشائية فى تطورها الدائب.

ونعنى بالمصطلح هنا المصطلحات المقننة للكتابة الديوانية والتى وضع قواعدها وضوابطها القاضى شهاب الدين العمرى قبل منتصف القرن الثامن بقليل . أما وصف المصطلح بالشريف ؛ فلأن الكتابة - كما ذهبنا آنفا - من أشرف الصنائع وأرفعها ، ويكفى تشريف الله سبحانه وتعالى لها، ولبعض آلاتها كالقلم والدواة .

وفرسان عصر سلاطين المماليك من علماء الكتابة الإنشائية ليسوا بالقليل، ولا بالهين ؛ إذ كانوا أساطين البلاغة ورءوسها ، ورواد الأدب وعروشها . لكن المعول عليهم ، وعلى كتبهم فرسان ثلاثة؛ وذلك لما لكتبهم من خاصية ، ولما لها من تفرد وحظوة . وهم على التوالى القاضى شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى المتوفى سنة ٧٤٩هـ /١٣٤٨م ، صاحب كتاب " التعريف بالمصطلح الشريف، والقاضى تقى الدين عبد الرحمن بن محمد بن

يوسف ، المعروف بابن ناظر الجيوش [١]. والمتوفى سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م، صاحب كتاب "تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف" [٢]. ثم أخيرا العلامة شهاب الدين أحمد بن على [٣] القلقشندى ، المولود سنة ٧٥٦هـ، والمتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م ، صاحب الموسوعة العلمية الشهيرة " صبح الأعشى فى صناعة الإنشا" [٤] . ونلاحظ فى تاريخ حياة هؤلاء الكتاب ملحوظتين .

---

(١) هو المشرف على ديوان الجيش. وكان أساس عمله تسجيل أسماء الجنود، وأعدادها ، ومايجرى لهم من نفقات ، سواء كان إقطاعا أو نقودا أو نحوهما . وكان من أرباب الأقلام، المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جـ ١ص ١٤١، محمد قنديل البقلى : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص٣٤٢، ٣٤٣.

(٢) قمت بتحقيق هذا الكتاب، مع دراسة وافية للمؤلف والكتاب، فى رسالة الماجستير المقدمة لكلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر .

(٣) هكذا ورد اسمه على غلاف الكتاب ، وكذا فى الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى ، جـ١ص٨، وإنباء الغمر لابن حجر، جـ ص ، وشذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى، جـ ٧ ص ١٤٩وورد أحمد عبد الله فى كل من السلوك للمقريزى ، جـ٤ ص ٤٧٢ ، ونزهة النفوس والأبدان للصيرفى ، جـ٢ص٤٣٢ ، والمنهل الصافى لابن تغرى بردى ، جـ١ص٣٥١.

(٤) انظر فى المصادر السابقة.

الملحوظة الأولى : أن الأول والثانى ولدا وتوفيا فى القرن الثامن الهجرى ، والأخير عاش جل حياته فى القرن نفسه بينما توفى فى الثلث الأول من القرن التاسع.

والملحوظة الثانية أن تقى الدين ابن ناظر الجيوش قد بنى كتابه على أساس من كتاب شهاب الدين العمرى، وأن شهاب الدين القلقشندى قد بنى كتابه الضخم على أساس من الكتابين السابقين.

وهكذا كان العمرى رائدا لكتاب المصطلح الشريف، وكتابه كان أصلا لكتب المصطلح، وأنموذجا لكتاب الدواوين السلطانية مصرا وشاما لقرون عديدة.

* * * * * * *

(أ)

شهاب الدين العمرى

وعلاقات أسرته بالدواوين السلطانية

القاضى
شهاب الدين العمرى

هو القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله بن مجلى بن دعجان ... وينتهى نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لذا ينتسب إليه ويقال له العمرى نسبة إليه، والعدوى نسبة إلى جدهما الأكبر عدى بن كعب.

مولده:

ولد القاضى شهاب الدين العمرى بدمشق . وقد اختلف المؤرخون فى التاريخ الذى ولد فيه ، فذهب كل من الذهبى والحافظ البرزالى على أن مولده كان فى سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م،[١] بينما ذهب كل من الكتبى ، وابن حبيب ، وابن كثير ، والمقريزى وابن حجر العسقلانى ، وابن العماد الحنبلى والسيوطى على أن مولده كان فى شوال من عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م[٢] . أما ابن تغرى بردى فقد أيـــد

---

(١) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى جـ١ ص٢٢١-٢٦٦، ترجمة رقم ٣٣٨.

(٢) ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات جـ١ ص١٤ رقم ٧ ، ابن حبيب : تذكرة النبيه جـ١ ص١٢٥، المقريزى: السلوك جـ٢ ص٧٩٢ ، ابن حجر: الدرر الكامنة جـ١ص٣٣١ ترجمة رقم ٨٤٨، جلال الدين عبد الرحمن السيوطى:حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، جـ١ص٥٧١.

الرأى الأخير فى مولد شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمرى فى كتابه "النجوم الزاهرة" ، بينما ذهب فى كتابه " المنهل الصافى" إلى تسجيل الرأيين السابقين[١] ، أما صلاح الدين بن أيبك الصفدى فقد تأرجح فى تاريخ ميلاد العمرى بين سنتى ٧٠٠هـ، ٧٠١هـ/١٣٠١م، أى أنه أيد فى رأى منهما رأى غالبية المورخين القائلين بأن ميلاده كان فى سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م[٢].

نشأة العمرى:

نشأ القاضى شهاب الدين العمرى فى بيت علم وشهرة واسعة؛ ذلك لأن أباه، وأعمامه، ثم هو وأخوته، بل وبعض أبنائه وأبناء اخوته كانوا من أشهر كتاب الإنشاء بالدواوين السلطانية بالديار المصرية والشامية ، منذ بداية دولة بنى قلاوون فى عصر سلاطين المماليك الأولى أو التركية ، وحتى أوائل دولة السلطان الظاهر برقوق الثانية فى عصر سلاطين المماليك الثانية ، أو الجركسية[٣].

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ١ ص ٣٤ ، المنهل الصافى جـ١ ص ٢٦١ ترجمة رقم ٣٣٨.

(٢) صلاح الدين الصفدى : الوافى بالوفيات جـ٨ ص ٢٦٨.

(٣) وهى تزيد عن مائة عام انظر ، المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ٢ ص ٥٦-٥٨.

وقد اضطلع غالبيتهم بأهم وظائف الديوان الشريف وهى وظيفة " كاتب السر" أو مايطلق عليه بـ " صاحب دواوين الانشاء بالديار المصرية" وكانت من أعلى الوظائف المدنية ، وصاحبها من أقرب الناس إلتصاقا بالسلطان المملوكى، ومن هنا كان يطلق عليه العامة "كاتم السر" (١).

ولما كانت كتابة السر خصوصا والكتابة الإنشائية عموما ، يستتبع من أصحابها أن يكونوا على دراية واسعة بكثير من علوم العصر ، بخلاف عمق معرفتهم لعلوم الكتابة ، وذلك حتى يكون كتاب الانشاء قادرين على التعامل مع الفئات المختلفة فى داخل البلاد وخارجها ، ومع الثقافات المتغايرة فى طبقات المجتمع دنوا وارتفاعا (٢)، عاش القاضى شهاب الدين العمرى فى وسط جو علمى عريض ، وشهرة ولمعان ، وذلك بخلاف قربه وتعامله مع سلاطين المماليك فى عصره.

ولما كانت لهذه الأسرة الديوانية بإمكاناتها العلمية الواسعة، وعلاقتها اللصيقة بالدواوين السلطانية، أثرها العميق فى القاضى شهاب الدين العمرى . بات لزاما علينا أن نتعرف على هذه الأسرة الشهيرة وعلاقتها بالديوان السلطانى عن قرب .

---

(١) القلقشندى : ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر، جـ١ص٤١، المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جـ٢ ص٢٢٦ ، محمد قنديل البقلى : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص٢٨٢.

(٢) القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الأنشا، جـ١ص١٤٠ ومابعدها.

أسرة العمرى وعلاقتها بالدواوين:

حوالى مائة عام وأسرة ابن فضل الله العمرى يستحوذون على دواوين الانشاء مصرا وشاما ، وبالأخص على كتابة السر بالديار المصرية ولم يحدث أن سيطرت أسرة على الديوان السلطانى هذه المدة الطويلة ، وكأنه أصبح ملكا خاصا لهم يتوارثونه ، كما يتوارثون ميراث الآباء والأجداد .

ومن الواضح أنه لم يحدث ذلك إلا لأن أفراد هذه الأسرة كانوا مؤهلين بمختلف الأسلحة التى مكنتهم من الهيمنة على مهام هذه الوظيفة الديوانية المرموقة زمن سلاطين المماليك.

وينقسم أسرة جمال الدين فضل الله العمرى إلى ثلاثة أجيال من الكتاب الديوانيين ، وهم :

١- جيل الآباء ، وفيهم : والد شهاب الدين العمرى والأعمام.
٢- جيل الأبناء أو جيل العمرى، وفيهم : شهاب الدين وأخوته.
٣- جيل الأحفاد ، وفيهم : أبناء شهاب الدين وأبناء اخوته.

ويجب ملاحظة أن هذا التقسيم لايعنى منه انفصال هذه الأجيال عن بعضها البعض، إذ أنه كان هناك تداخل زمنى بين هذه الأجيال. بمعنى أن الجيل التالى قد بدأ العمل بالديوان فى وجود الجيل الذى سبقه فى كثير من الأحيان، كما سيتضح ذلك .

أولا: جيل الآباء:

كان لهذا الجيل دون شك الدور الأكبر فى استقرار وظيفة كتابة السر بالديار المصرية فى أسرة جمال الدين فضل الله العمرى ، وذلك

بخلاف اضطلاعهم بالكتابة الانشائية فى ديوانى مصر ودمشق ، وكتابة السر بدمشق أحيانا ، وهم :

أ - القاضى شرف الدين عبد الوهاب العمرى :

تبدأ شهرة أسرة ابن فضل الله العمرى فى عالم الكتابة الإنشائية فى عصر بنى قلاوون فى مصر بالقاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى، وهو عم القاضى شهاب الدين العمرى. وقد ولد القاضى شرف الدين عبد الوهاب سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م. وسمع من أعلام علماء عصره مختلف العلوم الدائرة فى زمانه ، وتعانى الكتابة ، فأجاد فى الخط ، وفاق فى الترسل المنسجم، والعارى عن التكلف والتصنيع(١).

وكانت البداية لشهرة شرف الدين عبد الوهاب عندما عين فى وظيفة كاتب السر بالديار المصرية أيام السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ، المتوفى سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م(٢). فباشرها أحسن مباشرة. وبقى فى وظيفته أيام الأشرف خليل، ومع من جاء بعده من السلاطين(٣)، وحتى شهر محرم من عام ٧١٢هـ/١٣١٢م ، حيث

---

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ٢ ص ٤٢٨ ترجمة رقم ٢٥٤٨.

(٢) وعن ترجمته انظر ، ابن حبيب : تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه جـ١ ص ١٦٧.

(٣) تسلطن بعد الأشرف خليل كل من الناصر محمد بن قلاوون، فالعادل كتبغا، ثم المنصور حسام الدين لاجين ، ثم الناصر محمد بن قلاوون =

نقله الناصر محمد قلاوون فى هذا التاريخ إلى كتابة السر بدمشق. واستمر بها إلى أن توفى فى رمضان من سنة ٧١٧هـ /١٣١٧م ، ممتعا بسمعه وبصره وحواسه وكتابته ، وبعد أن خلف نعمة ظاهرة جدا من الأموال[١].

والغريب أن شرف الدين عبد الوهاب كان فى بداية حياته صانعا للسماعات الطبية، ولما انتقل من صناعة السماعات إلى صناعة الكتابة أجاد فيها أبلغ إجادة؛ حتى ما اتفق أنه كتب أمام أحد من السلاطين والأمراء إلا عظمه وأشاد به. وكان الأمير الكبير تنكز نائب السلطنة بدمشق يذكره[٢]، وجعل أفعاله قواعد يمشى عليها[٣].

يقول عنه ابن تغرى بردى : "كان إماما فى كتابة الإنشاء عارفا بتدبير الممالك، مليح الخط، غزير العقل ، وخدم عدة سلاطين ، وكان كاملا فى فنه ، لم يكن فى عصره من يدانيه ولا يقاربه[٤].

= فى المرة الثانية من سلطنته ثم المظفر بيبرس الجاشنكير ، وأخيرا الناصر محمد بن قلاوون فى توليته الثالثة، أحمد السعيد : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، جـ١ ص ١٦٢.

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ٢ ص ٤٢٨.

(٢) عنه انظر ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ، جـ٤ص١٥٦ ترجمة رقم ٧٩٧.

(٣) ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات جـ٢ ص ٤٦ ترجمة رقم ٢٧٠، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٢ ص ٤٢٨.

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزهرة جـ٩ ص ٢٤٠.

وقد رثاه عند موته المولى شهاب الدين محمود بن سلمان ابن فهد الحلبى[(١)] فى قصيدة طويلة بعث بها إلى أخيه محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى يقول فيها :

لتبك المعالى والنهى الشرف الأعلى وتبكى الورى الإحسان والحلم والفضلا

وتنتحب الدنيا لمن لم تجد لـــــه وإن جهدت فى حسن أوصافه مثــــلا

ومن أتعب الناس اتباع طريقــــه فكفوا وأعيتهم طريقته المثــــــلا

لقد أثكل الأيام حتى تجهمـــــت وإن كانت الأيام لاتعرف الثكــــلا

ومنها :

إلى الله أشكو فقد صحب رزئتهم وفقد ابن فضل الله قد عدل الكــلا

ولم يترك الموت الذى عم منهـــم حميما ولاخلى الردى منهم أهــلا[(٢)]

٢- القاضى محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى:

يأتى بعد شرف الدين عبد الوهاب أخوه المولى محيى الدين يحيى بن جمال الدين فضل الله، ووالد القاضى شهاب الدين العمرى صاحب الترجمة.

ولد محيى الدين يحيى بن فضل الله بالكرك[(٣)] فى شوال سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م. ويبدو من ذلك أن والده أبا المعالى جمال الديـــن

---

(١) عن ترجمته انظر : ابن حبيب : تذكرة النبيه جـ٢ ص ١٥٢.

(٢) ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات جـ٢ ص٤٦ ترجمة رقم ٢٧٠.

(٣) الكرك ، بفتحتين : قلعة حصينة بنواحى البلقاء بالأردن ، ياقوت : معجم البلدان ، باب الكاف.

فضل الله كان يعمل بالكرك فى هذا التاريخ. وبطبيعة الحال كان عمله فى ظل دولة بنى أيوب التى انتهت فى مصر سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م[١].

وقد منح محيى الدين يحيى بن فضل الله عددا من الإجازات العلمية من كبار علماء عصره، وحدث كثيرا بفضل إجازاته المتعددة. ثم بدأ عمله كاتب إنشاء فى دواوين الإنشاء فى الدولة المملوكية، مبتدئا عمله فى دمشق أولا مع أخيه شرف الدين عبد الوهاب، ثم انتقل إلى حمص، ثم عاد إلى ديوان الإنشاء بدمشق عندما أصبح أخوه عبد الوهاب صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية فى عصر السلطان خليل بن قلاوون[٢].

ولما ضعف شرف الدين عبد الوهاب فى عصر السلطان المنصور لاجين استحضر السلطان محيى الدين يحيى بن فضل الله وجعله نائبا لأخيه فى ديوان الإنشاء بالديار المصرية ؛ وذلك فى سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م. ثم تنقل بين ديوانى مصر ودمشق كاتب سر بهما غالبا ، إلى أن استقر أخيرا صاحب دواوين الإنشاء بالديار المصرية فى سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م حتى تاريخ وفاته.

وقد ظل الناصر محمد بن قلاوون متمسكا بمحيى الدين يحيى ابن الفضل الله العمرى، وذلك على الرغم من كبر سنه وضعفه،حتى

---

(١) أحمد السعيد : تاريخ الدول الاسلامية ، جـ١ ص ١٤٢.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ١ ص ٩٨.

أنه- لفرط حبه له - عين ولديه شهاب الدين العمرى، وعلاء الدين على على التوالى ؛ لنيابة والدهما لمساعدته ومعاونته لحمل أعباء هذه الوظيفة الخطيرة.

ثم لما اشتد ضعف القاضى محيى الدين استسمح الملك الناصر محمد بن قلاوون فى التنحى عن وظيفته ، والذهاب إلى دمشق ؛ ليقضى أيامه الأخيرة بها ، فإذن له السلطان بالخروج إلى الشام دون أن يعفيه من وظائفه، وكتب له تقليدا [١] فى قطع الثلثين [٢] بالاستمرار على صحابة ديوان الإنشاء بالممالك الإسلامية ، وأن يكون جميع المباشيرن لها نوابه، وأنه حيث حل يقرأ القصص والمظالم، ويقرر الولايات والعزل والرواتب، وغير ذلك ، ويوقع فيها بما يراه [٣].

---

(١) التقليد : نوع من خطابات التعيين فى الوظائف الكبرى ، تقى الدين عبد الرحمن المحبى : تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف ص ٢٢٠، سعيد عاشور : العصر المماليكى ص٤٢٤.

(٢) قطع الثلثين : هو الحجم المناسب من الورق الذى يكتب فيه التقاليد، وعرضه ثلثا الورقة الكاملة المعروفة بـ " الطومار" وهو مايوزى ثلثا ذراع بذراع القماش المصرى (٤٠ سم تقريبا) المحبى : تثقيف التعريف ص ٢٢٧، ٢٣٥ ، عبد الرحمن أمين : مقدمة كتاب تثقيف التعريف ص ٨٥.

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١ ص ٩٨ ، ٩٩.

وفى أثناء استعداده للسفر إلى دمشق مات القاضى محيى الدين ابن فضل اله العمرى - رحمه الله -فى الثامن من شهر - رمضان سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م. وذلك بعد أن رأى من السعادة فى أولاده ، وأملاكه، ووظائفه ، وطول عمره ، مالم يشاركه فيه أحد ، ودفن بالقرافة، ثم انتقل تابوته إلى دمشق، ودفن بالصالحية قرب دمشق بعد شهر من وفاته(١).

ويقول فيه ابن حبيب : "وكان رئيسا كاملا، عالما فاضلا ، كاتبا مجيدا ، دينا صينا ، مهيبا وقورا ساكنا ، أمينا على أسرار الملوك ، ذا وجاهة كبيرة ، وحشمة زائدة، وحرمة وافرة ، وكفاية تامة فيما هو متقلده ، ومناقب عديدة(٢).

٣- بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى :

يأتى بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى ثالثا فى ترتيب الشهرة والصيت بين أخويه شرف الدين عبد الوهاب ، ومحيى الدين يحيى. وقد ولد بدر الدين سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٣م ، وذلك قبل محيى الدين وبعد شرف الدين.

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٤ص ١٨٣ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ٤ ص ٤٢٤ ترجمة رقم ١١٧٥.

(٢) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، جـ٣١ ص ٣٩٧ ، ٣٩٨، المقريزى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، جـ١ ص ٨٩٥.

وقد سمع من عدد من علماء عصره . واشتغل كإخوته بالكتابة الإنشائية بديوان دمشق ، وكان من أعيانه المتصرفين ، ولو أنه كان أقل حظا من أخويه شرف الدين ومحيى الدين . وقد أسر بدر الدين محمد فى وقعة غازان سلطان مغول إيران على دمشق سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م[١] ، ومعه بعض أعيان دمشق[٢].

وظل بدر الدين محمد أسيرا فى بلاد المغول حوالى خمس سنوات إلى أن عاد فى جمادى الآخرة سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م؛ وذلك بعد وفاة السلطان المغولى محمود غازان فى أواخر سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م[٣] .

---

(١) هذه الوقعة التى وقعت بين المغول والمماليك كانت بوادى الخزندار قرب حمص ، العينى : عقد الجمان ، جـ٤ ص٩ -١٨ ، عبد السلام عبد العزيز فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى إيران ، ص ١٩٨-٢٠٣.

(٢) يبدو أن الأمر قد أشكل على الدكتور فايد حماد عاشور ، حيث اعتبر أن بدر الدين محمد بن فضل الله خرج مرافقا لغازان على أساس أنه وزيره وليس ذلك بصواب ، المقريزى : السلوك ، جـ١ ص ٨٩٥، فايد حماد عاشور: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ، ص١٥٣.

(٣) عن ترجمته انظر ، الذهبى : ذيول العبر ، جـ٤ ص٩.

ثم توفى بدر الدين محمد بن فضل الله سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م بدمشق ودفن بقاسيون ، وكان قد جاوز حينئذ السبعين من عمره[1].

ثانيا: جيل الأبناء:

إذا كان هذا الجيل من الآباء والأعمام قد حازوا الشهرة واللمعان ، وسيطروا على مقاليد الكتابة الإنشائية وخصوصا أعلى وظائفها أى صحابة دواوين الإنشاء مصرا وشاما فى عصرهم - كما رأينا - فإن جيل الأبناء لم يكونوا أقل شهرة ولمعانا من جيل الآباء ، ويكفى أن يكون من بينهم القاضى شهاب الدين العمرى .

وبما أننى سوف أفرد حديثا خاصا عن شهاب الدين العمرى، فسوف نتجاوزه مؤقتا إلى غيره من أفراد أسرة ابن فضل الله الذين اضطلعوا بمهام كتابة السر خصوصا، وبالكتابة الإنشائية عموما.

١ - القاضى علاء الدين على بن يحيى:

يأتى على رأس هذا الجيل بخلاف شهاب الدين العمرى أخوه القاضى علاء الدين على بن يحيى العمرى.

وقد ولد القاضى علاء الدين فى سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، وسمع الحديث عن أبيه محيى الدين العمرى، وعن العلامة أسماء بنت

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ص٦ ، ٣٢، وعن قاسيون انظر مايلى ص

صصرى[١] وغيرهما . وحدث أيضا. ومن الواضح أنه قد تلقى بعض العلوم الأخرى التى تؤهله بالاضطلاع بمهام الكتابة الإنشائية ، فكان ناظما وناثرا ، وعلى دراية كبيرة بالترسل والإنشاء ، ومن شعره:

بان الحمى لم يمس من بعد بعدكم ولاتغنت به ورقاؤه طربـــا

ياجيرة خلفونى فى ديارهـــم أجرى الدموع على آثارهم سحبا

قد كان يحزنى واش يراقبنـــى واليوم يحزنى أن ليس لى رقبا[٢]

وولى القاضى علاء الدين فى كتابة السر بالديار المصرية نائبا عن أبيه محيى الدين العمرى فى أواخر سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م، وذلك بدلا من أخيه شهاب الدين الذى كان قد غضب عليه السلطان الناصر محمد قلاوون - لأسباب سنذكرها فى حينها-، ولم يكن القاضى علاء الدين حين ذلك مؤهلا لهذه الوظيفة الكبيرة ، لاسنا ولا خبرة، فعمره لم يكن قد تجاوز بعد الخامسة والعشرين . وحاول القاضى محيى الدين أن يثنى عزم السلطان فى تعيينه، محتجا بصغر سن علاء الدين ، وقلة تجربته فتمسك به الناصر، وأصر على توليته قائلا: أنا أربيه وأعلمه وأدربه[٣].

---

(١) هى المسندة المعمرة أم محمد أسماء بنت محمد بن سالم بن الحافظ أبى المواهب بن صصرى المتوفية سنة ٧٣٣هـ ، ١٣٣٢، الذهبى : ذيول العبر جـ٤ ص ٩٧.

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ١١ ص ١٠٢.

(٣) شمس الدين الشجاعى : تاريخ الملك الناصر وأولاده ص ٢٤. ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٣ ص ١٣٨ ترجمة رقم ٣١٧.

ثم لما ضعف القاضى محيى الدين يحيى فى سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م، واستأذن السلطان فى السفر إلى دمشق -كما-رأينا ذلك سابقا- أصدر الناصر محمد تقليدا بتعيين القاضى علاء الدين فى كتابة السر بالديار المصرية مستقلا، بعد أن كان نائبا لوالده فى المدة السابقة، وذلك بعد أن سمح للقاضى محيى الدين بالسفر الى دمشق[1].

وظل القاضى علاء الدين العمرى صاحب دواوين الإنشاء بالديار المصرية حتى شهر رمضان من سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م أى أنه بقى كاتبا للسر مدة ثلاث وثلاثين سنة، وهى أطول مدة قضاها كاتب سر فى وظيفة صحابة دواوين الإنشاء بالديار المصرية فى عصر سلاطين المماليك[2].

وقد خدم القاضى علاء الدين على فى هذه المدة الطويلة، التى قضاها فى صحابة ديوان الإنشاء بالديار المصرية، أحد عشر سلطانا من بنى قلاوون، مبتدئا بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون، ومنتهيا بحفيده الثانى الأشرف شعبان بن حسين، المتوفى سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٧م[3].

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ١ ص ٩٨، ٩٩.

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ١١ ص١٠٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة جـ٢ ، ص٢٣٤.

(٣) هؤلاء السلاطين هم الناصر محمد بن قلاوون فأولاده أبو بكر ، وكجك وأحمد، واسماعيل، وشعبان، وحاجى، وحسن وصالح ، ثم =

ولاشك أن هذه المدة الطويلة التى قضاها القاضى علاء الدين فى كتابة السر قد صقلته، وجعلته أكثر خبرة وتجربة وحنكة، حتى أصبح إماما فى فنه، على حد قول ابن تغرى بردى[١]، وعلى الرغم من أن ابن حجر العسقلانى قد أتهم القاضى علاء الدين العمرى بقلة بضاعته من العلم[٢] إلا أننا نرى رأيا آخر مغايرا عند ابن حبيب وكان معاصرا للقاضى علاء الدين، إذ يقول عنه: "كان عالما فاضلا ، أديبا كاتبا فى أعلا درجات المنسوب"[٣].

ثم أن ابن حجر عاد ونوه على بعض معارف القاضى علاء الدين، فهو يقول عنه : "كان حسن الخط جدا ، لا يلحق فيه ، ولاسيما قلم الثلث[٤] فلم يلحقه فيه أحد ولا كتبه بعد الولى

= حفيديه محمد بن حاجى ، والأشرف شعبان بن حسين، انظر عنهم ، أحمد السعيد : تاريخ الدول الاسلامية جـ١ ص ١٦٢ أسرة رقم ٥٨.

(١) ابن تغرى بردى : النجوم جـ١١ ص١٠٢.

(٢) ابن حجر : جـ٣ ص ٢٨ ترجمة رقم ٤٣٠.

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه جـ٣ ص ٣١٦.

(٤) نوع هام من أنواع الأقلام ، والثلث نسبة إلى قلم الطومار أعلى الأقلام قدرا بمعنى أن عرض سنه ثلث عرض قلم الطومار ، أو بنسبة الاستقامة والتقوير أى أن ثلث خطوطه مستقيمة، والأشهر الأول ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ٢ ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، عبد الرحمن أمين : مقدمة كتاب تثقيف التعريف ص ٨٧.

العجمى[١] مثله ، حتى أنه ما كان ينقله بخط الولى العجمى ، وابن البواب[٢]، وغيرهما ممن تقدم وتأخر، فلا يشك من ينظر ذلك أنه من خط من نقله منه إلا نادر" [٣].

وبعد حياة حافلة عاشها القاضى علاء الدين على بن يحيى العمرى طولا وعرضا فى همة عالية ، وحرمة وافرة، وسياسة ورئاسة، وسكون ووقار، وسعادة فى منصبه. توفى بالقاهرة فى يوم الجمعة التاسع من شهر رمضان عام ٧٦٩هـ/١٣٦٧م ، وذلك بعد أن تنازل عن وظيفته لابنه القاضى بدر الدين محمد قبل وفاته بأربعة أيام بسبب اشتداد المرض عليه.

وقد قيل أن سبب وفاة القاضى علاء الدين كان لسم أعطاه له أخوه شهاب الدين العمرى، وذلك حسدا منه لأخيه حتى يتولى كتابة السر دونه[٤].

---

(١) هو ولى الدين على بن زنكى، المشهور بالولى العجمى ، وهو أحد كبار علماء الخط المنسوب ، ابن حبيب : تذكرة النبية جـ١ ص١٧٣، القلقشندى : صبح الأعشى جـ٣ ص١٤.

(٢) هو أبو الحسن على بن هلال المعروف بابن البواب، الذى أكمل قواعد الخط، واخترع عددا من الأقلام ، وتوفى سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م ، القلقشندى : ضوء الصبح جـ١ ص ١٨٤.

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ٣ ص ٢٨ ترجمة رقم ٤٣٠.

(٤) المقريزى : الخطط جـ٢ ص ٥٧.

ولكنى أرى أنه أمر مستبعد تماما؛ ذلك لأن القاضى علاء الدين عاش منذ توليه كتابة السر وإلى حين وفاته أكثر من ثلاثين عاما، ثم أنه كان يقدر أخاه الأكبر كثير بخلاف ما كان له من أياد بيضاء لأخيه شهاب الدين، وهذا ماسنراه بوضوح فى بعض الأحداث التالية.

والغريب أن القاضى علاء الدين العمري وعلى الرغم من هذا الحظ الوظفى الوافر، والذى لم ينله أحد قبله ، ولابعده ، قد بكى عندما رأى ابنه بخلعة الاستقرار فى وظيفة كتابة السر بمصر [١]
ويقول الأديب الشاعر تقى الدين الحسن بن على بن حميد الغزى[٢] مادحا علاء الدين :

على بن يحيى كاتب السر والذى	علا حين أسدى المكرمات وسادا
أعاد لنا ما أبدأته من الندى	قريش فأبدى جوده وأعادا
حمى الملك بالأقلام والشمس دونها	عناء وحفظا للعلى وجهادا
ودبر بالرأى الممالك حاميا	بها حوزة الدين الحنيف وذادا
حوى لاصطناع العرر نبع خلائق	زرعن له حب القلوب ودادا
عفافا وحلما واعتزازا وسؤددا	وجودا وصدرا واسعا وسدادا [٣]

---

(١) المقريزى : السلوك جـ٣ ص ١٥٩ ، ١٦٦.

(٢) عن ترجمته انظر ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٢ ص ٢٢ ، ترجمة رقم ٩ ، ١٥.

(٣) ابن حبيب : درة الأسلاك ص ٤٥٤.

٢- القاضى بدر الدين محمد بن يحيى :

ثانى هذا الجيل كان القاضى بدر الدين محمد بن يحيى وقد ولد بدر الدين سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م، وكان أحب الإخوة لشهاب الدين، كما كان أحبهم عند والدهم القاضى محيى الدين . وتعلم الكتابة الإنشائية منذ صغره ، وكان فى خدمة أبيه بدمشق ومصر ، ثم استكتبه أخوه شهاب الدين فى توقيع الدست بدار العدل . ولما عزل القاضى شهاب الدين العمرى من كتابة السر بدمشق - كما سنذكره قريبا- عين بدر الدين محمد بدلا من أخيه من قبل القاضى علاء الدين صاحب دواوين الإنشاء بالديار المصرية ، وذلك فى سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م[١] .

وتوفى القاضى بدر الدين محمد بن يحيى فى ريعان شبابه ، وقبل وفاة شقيقه شهاب الدين العمرى بعامين ، وذلك فى سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م، وقبل أن يتجاوز ستا وثلاثين سنة من عمره[٢].

ثم كان للقاضى شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمرى أخ ثالث، وهو صلاح الدين موسى المولود سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م شقيق القاضى علاء الدين على بن فضل الله.

---

(١) الشجاعى : تاريخ الملك الناصر ص ٢٧٧.

(٢) الذهبى: ذيول العبر جـ٤ ص ١٣٩، المقريزى: السلوك جـ٢ ص٦٩٠، ٦٩٨، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٤ ص ٢٨٢ ترجمة رقم ٧٩٧.

والغريب أن صلاح الدين موسى هذا قد حاد عن الطريق الذى سلكه آباؤه وإخوته فى سلك الوظائف الديوانية، فلم يشتغل بالكتابة الإنشائية مثلهم وصولا للديوان، والأغرب من هذا أنه سلك طريقا مغايرا قلما كان يسلكه غير فئة المماليك فى عصر سلاطين المماليك الأولى فى مصر وهو سلك العسكرية . فقد تزيا صلاح الدين موسى بزى الجندية ، ومنحه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون كغيره من العسكريين إقطاعا ، ثم رقى إلى إمرة عشرة [(١)] فى عصر الملك الناصر أيضا [(٢)].

وأقام الأمير صلاح الدين موسى بالديار المصرية مع أخيه وشقيقه القاضى علاء الدين على. وكان الرجل حسن الشكل، محببا عند العامة . وتوفى فى مصر سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨[(٣)] .

ثالثا: جيل الأحفاد:

وإذا جاوزنا جيل الأبناء وانتقلنا إلى الجيل الثالث من أسرة جمال الدين فضل الله العمرى ، تقابلنا مع آخر الأجيال الشهيرة فى الكتابة الانشائية فى هذه الأسرة الذائعة الصيت . وهم :

---

(١) رتبة عسكرية فى العصر المملوكى ومن حق صاحبها الإمرة على عشرة فرسان، المقريزى : الخطط جـ٢ ص ٢١٥ .

(٢) الشجاعى : تاريخ الملك الناصر ص ٣٣.

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٤ ص ٣٨٢ ترجمة رقم ١٠٤١.

- القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن أحمد :

كان على رأس هذا الجيل حسب ترتيب الوفاة لاحسب شهرتهم ابن صاحب الترجمة شرف الدين عبد الوهاب ابن شهاب الدين العمرى. وقد كتب فى ديوان الإنشاء بالديار المصرية فى أول الأمر مع والده شهاب الدين العمرى .

ولما سافر القاضى شهاب الدين إلى دمشق فى محرم سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م متوليا كتابة السر بها ، اصطحب معه ولده شرف الدين هذا ، وعينه كاتبا معه بالديوان الشامى. وقد عظم شأن عبد الوهاب، حتى أنه كان يدخل بالعلامة إلى نائب دمشق فى عهد والده. ثم استقر فى آخر الأمر بعد وفاة والده شهاب الدين العمرى فى توقيع الدست[١] . وذلك فى أوائل سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م.

واستمر شرف الدين فى وظيفته إلى أن مات فى شوال من عام ٧٥٤هـ/١٣٥٣م، وقد ورث المذكور عن والده شهاب الدين أحمد حدة الطبع[٢].

---

(١) كتاب الدست : هم الذين يجلسون مع كتاب السر بمجلس السلطان لقراءة القصص والتوقيع عليها، ويسمون أيضا بالموقعين، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ١ ص١٣، ١٣٧، جـ٥ ص ٤٦٤ ، ٤٦٥.

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ٢ ص ٤٢٤ ، ترجمة رقم ٢٥٤١ ، المقريزى : السلوك ، جـ٢ ص ٩٠٦.

٣- القاضى شهاب الدين أحمد بن على :

يأتى بعد شرف الدين عبد الوهاب ابن عمه القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن القاضى علاء الدين على . وقد سمى ولقب على مايبدو واضحا باسم ولقب عمه شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى صاحب الترجمة .

واشتغل القاضى شهاب الدين أحمد بن على فى نيابة كتابة السر مع والده بالديار المصرية ، ثم انتقل إلى دمشق كاتبا لسرها مستقلا فى سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م. ودام فى وظيفته إلى أن توفى بدمشق سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م فى ريعان شبابه ، وقد أناف على الثلاثين سنة [١].

ويبدو أن شهاب الدين الدين أحمد بن على قد ورث عن عمه القاضى شهاب الدين العمرى ، كما ورث اسمه ولقبه - الامامة فى فنه ، ومصطلح الكتابة الإنشائية، فكان الرجل بليغا ، كاتبا ، ناظما ناثرا، ويفسر ذلك فى وضوح كثرة الذين ترجموا له فى مؤلفاتهم[٢].

---

(١) ابن حبيب : درة الأسلاك ص ٤٨٦ ، المقريزى : السلوك جـ٣ ص ٢٢٣.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر جـ١ص ١٠٩ ترجمة رقم ١٠، ابن تغرى بردى : المنهل الصافى جـ٢ ص ٣٩ ترجمة رقم ٢٢٦، النجوم جـ١١ص١٣٧ ، ابن إياس : بدائع الزهور جـ١ ق٢ص ١٦٢.

٣- القاضى بدر الدين محمد بن على :

نصل أخير إلى آخر من عد من مشاهير أسرة جمال الدين فضل الله العمرى. وآخر من اضطلع منهم بمهام كتابة السر بالديار المصرية ، وثالث من لقب وسمى فى هذا البيت الكبير بـ " بدر الدين محمد " ، وهو القاضى بدر الدين محمد ابن القاضى علاء الدين على . وقد ولى كتابة السر بالديوان السلطانى ، وذلك لما اشتد المرض بوالده علاء الدين فى الخامس من شهر رمضان سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م فى سلطنة الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون(١) ثم توفى والده فى التاسع من نفس الشهر(٢).

واستمر القاضى بدر الدين فى كتابة السر بالديار المصرية إلى آخر دولة سلاطين المماليك الأولى حين عزله السلطان الظاهر برقوق أول سلاطين المماليك الثانية ، وذلك فى شوال من سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م . ولم يلبث أن أعاده السلطان برقوق فى ذى الحجة من عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م . وقد ازداد القاضى بدر القاضى تمكنا وسيطرة فى هذه الفترة فى أمور الديوان ، حتى صارت الولايات والعزل بإشارته(٣).

---

(١) عن ترجمته انظر ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافى جـ٦ ص٢٣٣ ترجمة رقم ١١٨٦.

(٢) المقريزى : السلوك جـ٣ ص ١٥٩ ، ١٦٦ ، ابن اياس : بداع الزهور جـ١ ق٢ ص ٧٥.

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٤ ص ٩٧ ، ترجمة رقم ٢٥٩.

ولما قامت الثورة ضد السلطان برقوق وألقى القبض عليه فى أوائل جمادى الآخر من سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م ، استمر القاضى بدر الدين محمد فى وظيفته فى سلطنة الملك المنصور ناصر الدين حاجى الثانية[١]، وعندما تمكن الظاهر برقوق من العودة إلى سلطنته فى أوائل سنة ٧٩٢هـ وعزل الملك المنصور ، عزل أيضا القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله من كتابة السر بالديار المصرية ؛ وذلك لتعامله مع غرمائه أثناء عزله من السلطنة، وعين بدلا منه القاضى علاء الدين على بن الكركى[٢].

ولكن القاضى بدر محمد ، لم يسكت عن وظيفته المرموقة والسعى لها عند السلطان برقوق، حتى أعاده الظاهر برقوق فى سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م، عندما ضعف القاضى علاء الدين الكركى وعجز عن مباشرة العمل [٣].

وبعد حوالى ثلاث سنوات من عودة القاضى بدر الدين محمد إلى منصبه المرموق، فى عصر سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية ، مات القاضى بدر الدين بدمشق فى شوال من سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م،

---

(١) عن ترجمته انظر، الخطيب الجوهرى ، على بن داود الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان جـ٢ ص٨١٤ ترجمة رقم ٤٩٣.

(٢) عنه انظر، الصيرفى : نزهة النفوس جـ١ ص ٣٥٣ ترجمة رقم ١٦٨.

(٣) المقريزى : السلوك جـ٣ ص ٧٥١.

بعد أن قضى حوالى ثلاثة وعشرين عاما من عمره فى كتابة السر بالديار المصرية[١] .

وقد أنشأ أبو العباس أحمد بن على القلقشندى ، مقامه فى تقريظ القاضى بدر الدين محمد بن القاضى علاء الدين على العمرى، وكان بدر الدين رئيسا له بالديوان السلطانى سماها " الكواكب الدرية فى المناقب البدرية" والتى أصبحت فيما بعد نواة لكتابه الكبير "صبح الأعشى فى صناعة الإنشا" [٢].

ثم بعد حوالى شهر من وفاة القاضى بدر الدين توفى أخوه القاضى عز الدين حمزه بن على بن يحيى بن فضل الله ، وكان معاونا لأخيه فى ديوان الإنشاء بالديار المصرية . ويزيد ابن إياس : بأن عز الدين حمزة قد عين مكان أخيه فى كتابة السر إلا أنه مرض ومات بعده بمدة يسيرة[٣] ، وقال فى موتهما أحد الشعراء :

قضى البدر بن فضل الله نحبا	ومات أخوه حمزة بعد شهر
فلا تعجب لذى الأجلين يوما	فحمزة مات حقا بعد شهر[٤]

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ١٢ ص ١٤٠ ، ١٤١.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ١ ، ص٢٢.

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور جـ١ ق ٢ص ٤٧٢.

(٤) ابن تغرى بردى : المصدر السابق نفس الجزء والصفحة ، ابن إياس : المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

وكان القاضى بدر الدين إماما رئيسا فاضلا فى الإنشاء والأدب، بالإضافة لمشاركته الجيدة فى الفقه وغيره. وبموته انقطع بيت ابن فضل الله من وظيفة كتابة السر بالديار المصرية والشامية . بعد أن سيطرت هذه الأسرة على صحابة ديوان الانشاء زهاء مايزيد على مائة عام. فقد تعين أولهم وهو القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى- فى كتابة السر أيام الأشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م بينما مات آخر من تولى كتابة السر منهم- وهو القاضى بدر الدين محمد بن على بن يحيى بن فضل الله- سنة ٧٩٦هـ/ ١٤٩٤م[1].

* * * * * *

---

(١) انظر ماسبق ص ٢٩ ـ ٣١.

(٢)

الحياة العلمية للعمرى

وعلاقته بعلماء عصره

الحياة العلمية لشهاب الدين العمرى :

هكذا نشأ شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمرى فى هذه الأسرة الشهيرة فى ميدانى العلم والدواوين، فكان لزاماً حيال ذلك أن يغوص فى أعماق علوم عصره، وينهل منها ماشاء أن ينهل، وأن يصبح ديوانياً مرموقاً منذ حداثة سنه .

وقد تلقى القاضى شهاب الدين العمرى علمه على يد عدد كبير من أعلام علماء عصره، وذلك فى مختلف العلوم والفنون الدائرة فى العصر، فقد شغف الحديث ، واشتغل بالفقه والعربية والأصول، وعلوم الأدب، فسمع الحديث من كبار محدثى عصره من أمثال مسند العصر شهاب الدين أحمد بن أبى طالب بن نعمة، المعروف بالحجار، المتوفى سنة ٧٣٠ هـ ١٣٢٩م[١]، ومن العلامة محمد بن يعقوب بن بدران الجرائدى، المتوفى سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م[٢]. ومن الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر عثمان الأنصارى، المعروف بابن رزين المتوفى سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م[٣]. ومن ست القضاة بنت يحيى بن أحمد بن الشيرازى، ماتت سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م[٤] .

---

(١) عن ترجمته انظر/ ابن حبيب : تذكرة النبيه جـ، ص٢٠٠ .

(٢) عنه انظر، ابن حجر: الدرر الكامنة جـ٤ ص٢٨٦ ترجمة رقم ٨٠٧.

(٣) عنه انظر ، ابن حجر: الدرر الكامنة جـ٣ ص٤٠٥ ترجمة رقم ١٠٧٤ .

(٤) عنها انظر ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٢ ص١٢٨ ترجمة رقم ١٧٩٦.

ومن مسند مصر شرف الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف المقدسى المعروف بابن المصرى المتوفى سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م.[١] ومن شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الحلبى، المتوفى سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م[٢] .

وأخذ الفقه عن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عيسى بن محمود البعلى الشافعى ، المتوفى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م[٣]. وعن شيخ الشافعية إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم الفزارى، برهان الدين ابن الفركاح، المتوفى سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م[٤]. وقرأ الأحكام الصغرى على شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى، المتوفى سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م[٥] .

أما العربية فقد أخذها عن كمال الدين عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب، المعروف بابن قاضى شهبة، المتوفى سنة ٧٢٦هـ/

---

(١) عنه انظر ابن تغرى بردى: النجوم جـ٩ص٣١٤، ابن العماد: شذرات الذهب جـ٦ ص١١٦ .

(٢) عنه انظر ابن حجر: الدررالكامنة جـ١ص٢٩٠ ترجمة رقم ٧٣٧ .

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه جـ٢ ص٢٠٣ .

(٤) تاج الدين عبد الوهاب السبكى: طبقات الشافعية الكبرى جـ٦ ص٤٥ .

(٥) ابن تغرى بردى: المنهل الصافى جـ١ ص٣٥٨ ترجمة رقم ١٩٥ .

١٣٢٥م[١]. وشمس الدين محمد بن مسلم بن مالك المزى الأصل ثم الدمشقى، المتوفى سنة ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥م[٢]

واشتغل العمرى فى الأدب أيضاً على يد عدد من كبار أدباء عصره، ويأتى على رأسهم شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد الحلبى، والذى يعد من قمم عصره فى الأدب عموماً، وفى حسن النظم والإنشاء والكتابة خصوصاً، والذى كان أيضاً أحد كتاب السر مصراً وشاماً وتوفى سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م[٣] .

ومن أساتذته فى الأدب أيضاً علاء الدين على بن المظفر بن إبراهيم الكندى الشهير بالوداعى، المتوفى سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م[٤]، ومنهم شمس الدين محمد بن حسن بن سباع الجذامى، المعروف بابن الصائغ، المتوفى سنة ٧٢٠ هـ/ ١٣٢٠م، وقد قرأ شهاب الدين على يده العروض[٥] .

---

(١) السبكى : المصدر السابق جـ٦ ص١٤١، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص١٢٦ .

(٢) ابن حبيب : تذكرة النبيه جـ٢ ص١٦٤ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص١٢٩ .

(٤) عنه انظر، محمد بن شاكر الكتبى: فوات الوفيات جـ٢، ص١٧٣ رقم ٣١٧ .

(٥) ابن عماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ٦ ص٥٣ .

ومن أساتذته فى الأدب أيضاً كمال الدين محمد بن على بن عبد الواحد الشافعى ، المعروف بن الزملكانى، والذى توفى سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م[١] ، وأيضاً الشيخ الإمام شهاب الدين أبو الثناء محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الأصبهانى، وكان أحد كبار علماء عصره فى أكثر من فن من فنون العلم، وتوفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م[٢] .

وقد تتلمذ شهاب الدين العمرى أيضاً على شيخ النحاة وسيبويه زمانه يوسف بن حيان الأندلسى، وكان إماماً عالماً، بحراً فى علم العربية، واللغة والتفسير وفنون الأدب، وتوفى بالقاهرة فى سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م[٣] .

ومن الواجب ألا ننسى فى معرض ذكرنا لأساتذة القاضى شهاب الدين العمرى والده القاضى محيى الدين ين يحيى بن فضل الله العمرى، والذى يعتبر - دون شك - أول أساتذته، وألصقهم به، فقد سمع شهاب الدين الحديث من والده ودرس الأدب على يده ، كما تلقاه من غيره من علماء عصره.[٤] .

---

(١) ابن حبيب: تذكرة النبيه جـ٢ ص١٧٢ . السبكى: طبقات الشافعية جـ٥ ص٢٥١ .

(٢) عن ترجمته انظر : السبكى : طبقات الشافعية جـ٦ ص٢٤٧، ابن عماد : شذرات الذهب جـ٦ ص١٦٥ .

(٣) السبكى : طبقات الشافعية جـ٦ ص٤١ - ٤٤ .

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب جـ٦ ص١٦٠ .

وقد أثمرت هذه العلوم المختلفة التى تلقاها شهاب الدين العمرى من علماء عصره ثمرة يانعة وارفة ، وهذه ماسنراها عن قرب لاحقاً .

علم العمرى وأدبه:

هذه العلوم المتنوعة التى نهل منها القاضى شهاب الدين العمرى من علماء عصره، وبالإضافة إلى عمله المبكر فى دواوين الإنشاء بالديار المصرية والشامية ، قد جعلت منه عالماً مبرزاً فى كثير من علوم عصره وفنونه، فهو عالم جغرافى بمقاييس عصره، وعالم فى التاريخ والأجناس، وعالم فى علوم الحديث والفقه، واللغة العربية وأصولها، وعالم فاق أقرانه فى علم الأدب نثراً وشعراً .

يقول صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى[1] عن علم العمرى:

«وهو أحد الأدباء الكملة الذين رأيتهم، وأعنى بالكملة : الذين يقومون بالأدب علماً وعملاً فى النظم والنثر ، ومعرفة بتراجم أهل عصرهم ومن تقدمهم على اختلاف طبقات الناس ، وبخطوط الأفاضل ، وأشياخ الكتابة. ثم إنه يشارك من رأيته من الكملة فى أشياء، وينفرد عنه بأشياء. بلغ فيها الغاية، وقصر ذلك عن شأوه؛ لأنه جود فن الإنشاء: النثر وهو فيه آية ، والنظم وسائر فنونه، والترسل البارع عن الملوك .

---

(١) عن ترجمته، انظر السبكى: طبقات الشافعية جـ٦ ص٩٤ .

ولم أر من يعـرف تواريخ ملوك المغل من لدن جنكز خـان[١] وهلم جراً معرفتـه، وكذلك ملوك الهند الأتراك. أما معرفتـه الممالك والمسالك، وخطوط الأقاليم، ومواقع البلدان وخواصها؛ فإنه فيها إمام وقتـه. وكذلك معرفة الاسطرلاب، وحل التقويم، وصور الكواكب. وقد أذن له العلامة الشيخ شمس الدين الأصبهانى فى الإفتاء على مذهب الإمـام الشـافـعى رضى الله عنه. فـهـو حينئذ أكـمل الكملة الذين رأيتهم»[٢].

ثم يعـدد الصـفـدى أسـبـاب تفـوق شـهـاب الدين العـمـرى على أقرانه، وعلى من سبقوه فى علوم الأدب، فيقول : «رزقـه الله أربعة أشيا ء لم أرها اجتمعت فى غيره: وهى الحافظة؛ قلما طالع شيئاً إلا وكان مستحضراً لأكثره. والذاكرة؛ التى إذا أراد ذكرى شئ من زمن متقدم كان ذلك حاضراً، كأنه إنما مر به بالأمس. الذكا ء، الذى تسلط به على ما أراد . وحسن قريحة فى النظم والنثر .

أما نثره فى ذروة كان أوج الفـاضل[٣] لها حضيضاً، ولا أرى أحد يلحقه فيه جودة وسرعة عمل لما يحاوله فى أى معنى أراد ، وأى مقام توخاه. وأما نظمه؛ فلعله لا يلحقه فيه إلا أفراد.

---

(١) هو أعظم ملوك المغول ، ولم يكن لهم ذكر قبله، وكان اسمه تموجين قبل أن يصبح خاناً على المغول، وتوفى سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ٥ ص٥٢٥ - ٥٢٧ .

(٢) الصفدى : الوافى بالوفيات، جـ٨ ص٢٥٤ .

(٣) هو القاضى عبد الرحيم بن على بن الحسن اللخمى البيانى، الشهير بالقاضى الفاضل إمام الكتابة فى عصر بنى أيوب ، أحمد بن عبد الوهاب النويرى: نهـاية الأرب فى فنون الأدب جـ٢٩ ص١٣ - ١٨، السبكى : طبقات الشافعية جـ٤ ص٢٥٣ .

وأضاف الله تعالى له إلى ذلك كله الذوق الذى هو العمدة فى كل فن»[1] .

والحق أن شهاب الدين العمرى له أمثلة رائعة تبرهن تفوقه على أقرانه فى كثير من أغراضه، كما تفوق دون شك على معاصريه، وعلى من سبقوه فى فن الكتابة النثرية؛ والمتمثلة فى الكتابة الإنشائية ، ومن شعره فى الغزل :

سل شجياً عن فؤاد نزحا	وخلياً فيهم كيف صحا
ومحباً لم يذق بعدهم	غير تبريح بهم مابرحا
مزج الدمع بذكرى لهم	مثل خدى من سقاه القدحا
زاره الطيف وهذا عجب	شبح كيف يلاقى شبحا[1]

ويقول أيضاً فى هذا المعنى :

أأحبابنا والغدر منا إليكم	إذا ماشغلنا بالنوى أن نودعا
أبثكم شوقاً أبارى ببعضه	حمام العشايا رنة وتوجعا
أبيت سمير البرق قلبى مثله	أقضى به الليل التمام مروعا
وماهو شوق مدة ثم ينقضى	ولاأنه يلقى محباً مفجعا
ولكنه شوق على القرب والنوى	أغص الأماقى مدمعاً ثم مدمعا

---

(١) ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات جـ١ص١٥ .

ومن فارق الأحباب فى العمر ساعـة
كمن فارق الأحباب فى العمر أجمعا (١)

ويقول العمرى فى هذا المعنى أيضاً :

وحق الذى أبلي فؤادى بحبكـم ... وصير قلبى فيكم هائماً صبـا
فحبكم المضنى على ماعهدتـم ... ولم يجن فعلاً فى الفراق ولاذنبا
ولكنها الأقدار تجرى على الفتى ... وتحمل فيـه مـن أحبتـه عتبا
أأحبابنا أنتم بقلبى وناظـرى ... لذلك لاأشكو بعاداً ولاقربـا (٢)

ويقول العمرى فى الحنين :

أما لفؤادى من هواك مريـح ... ومالعلاقـات الغـرام مزيـح
وإنى ليصبينى سنا كل بـارق ... وكل حمام فى الأراك ينـوح
أحن إلى الجرعاء من بطن وجـرة ... ويعجبنى منهـا ربى وسفـوح
ومابن ظباء بالعقيق سوانـح ... ولكن لمعنى فى الظباء يلـوح (٣)

وفى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم يقول العمرى :

ومبشر النـوار جـاء مخلقـاً ... لاشك قد خطرت نوافـح يثـرب
وافى يبشـر بالحمـى وبأهلـه ... يهنيك هـذى المدينـة والنبـى
هذى المدينة أشرقـت أعلامهـا ... يهنيك فزتـم بأشـرف مطلـب
هذى القبـاب كأنهـن عرائـس ... مجلوة سفـرت ولـم تتنقـب

---

(١) ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات جـ١ص١٥ .

(٢) الصفدى: المصدر السابق جـ٨ ص٢٥٣، ٢٦٨.

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، جـ٣ ص١٢٥ .

هذى الحدائق والنخيل وماؤهـــا نـم واستظل من الهواجر واشرب

هذا رسول اللـــه هـــذا أحمـــد هذا النقى الجـيب هذا مطلبى[(١)]

وهذه الأمثلة الشعرية التى تنبئ عن جمال وعذوبة ورقى، قليل من كثير، مما فى جعبة هذا العالم والأديب الفذ .

---

(١) الصفدى : الوافى بالوفيات ، جـ٨ ص٢٦٥، ٢٦٦ .

علاقة العمرى بعلماء وأدباء عصره :

ارتبط القاضى شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمرى ببعض علماء عصره؛ من فقهاء وأدباء ومؤرخين وغيرهم بعلاقات مودة وصدقة. وقد أثمرت هذه الصداقات المتنوعة، ثماراً يانعة عند كلا الطرفين من علم وفن. ولعل أبرزها تلك القصائد الرائعة التى تبودلت بين العمرى وأدباء عصره، والتى سوف نتعرف عليها قريباً .

فكان من أصدقاء القاضى شهاب الدين العمرى القاضى زين الدين عمر بن المظفر بن عمر، والمشهور بابن الوردى، المتوفى سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م[١] .

وكان ابن الوردى فقيهاً، ونحوياً ومؤرخاً وأديباً بارعاً. وقد مات بالطاعون الذى اجتاح العالم فى عام وفاته، بعد أن سجل فى أواخر أسطر تاريخه المعروف بـ«تتمة المختصر فى أخبار البشر» خبر وفاة القاضى شهاب الدين العمرى فى نفس الشهر الذى مات فيه، وهو شهر ذى الحجة من عام ٧٤٩ هـ .

ويقول ابن الوردى عن العمرى فى تاريخه: «دخل رحمه الله قبل وفاته بمدة معرة النعمان[٢] ، فنزل بالمدرسة التى أنشأتها، ففرح لى بها، وأنشد فيها بيتين أرسلهما إلى بخطه، وهما :

---

(١) ابن حبيب : درة الأسلاك ص٣٦٦ ، ابن حجر: الدرر الكافية ، جـ٣ ص١٩٥ ترجمة رقم ٤٧٢ .

(٢) مدينة بين حلب وحماة كانت من أعمال حماة ، ياقوت : معجم البلدان، باب الميم .

وفى بلـد المعرة دار علـم | بنى الوردى منها كل مجـد
هى الوردية الحلـواء حسناً | وماء البئر منها مـــاء ورد

وســـارع ابن الوردى بالرد على هذا الثناء قـــائلاً بنفس التفعيلة:

أمولانا شهاب الدين أنى | حمدت الله إذ بك تم مجـدى
جميع الناس عندكم نـزول | وأنت جبرتنى ونزلت عندى [(١)]

كذلك كانت هناك علاقة مودة ومحبة قد ربطت، بين كل من القاضى شهاب الدين العمرى، والقاضى بدر الدين الحسن بن عمر ابن حبيب ، الدمشقى الأصل والحلبى المولد والمنشأ ، والمتوفى سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م[(٢)] .

وكان الرجل مؤرخاً كبيراً، وأديباً بارعاً. وقد باشر كتابة الحكم والإنشاء والتواقيع المختلفة فى عدد من أقاليم بلاد الشام ، كما زار مصر، والتقى فيها بالقاضى شهاب الدين العمرى، وقويت المودة والصداقة بينهما منذئذ، وتبادلا الثناء والمدح فيما بينهما ، وخصوصاً وأن اهتماماتهما كانت متقاربة فى كثير من الوجوه[(٣)] .

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر جـ٢ ص٥٠٢، ٥٠٣ .

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٢ ص٢٩، ترجمة رقم ١٥٤٣، إنباء الغمر جـ١ ص١٦٣ .

(٣) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى جـ٥ ص١١٥ - ١١٩، ترجمة رقم ٩٢٢ .

وقد ذكر ابن حبيب فى تاريخه ثناء شهاب الدين العمرى عليه، فقال: «قال فى كتابه مسالك الأبصار بعد ذكر اسمى واسم والدى، ومايتعلق بصدر الترجمة: أديب أى أديب وحسن بن حبيب ، قدم علينا مصر قدوم المتلوم، وزارنا زيارة الخيال أجفان المهموم، فملأ زوايا المسامع وأودع ، ثم ماسلم حتى ودع. وهو حلبى المولد والمنشأ، ذهبى المحتد إن نظم أو أنشأ »[1].

وكتب ابن حبيب إلى العمرى عندما عاد من جهة الصعيد، وكان فى مهمة مع السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى ذلك الوقت، فقال :

لاغرو أن قال الصعيد أرتوت	أرضى ولى فخر وتفضيـــل
بحران فى ذا العام حلابـــه	نيل ابن فضل الله والنيل[2]

ثم إن ابن حبيب يمدح ابن فضل الله العمرى فى قصيدة يقول فى أولها :

جوانحى للقا الأحباب قد جنحـت	وعاديات غرامى نحوهم جنحت
وعبرتى عبرة للناظريـن غـــدت	لأنها بجفونى إذ جرت جرحـت

ويقول فى آخرها :

بالروح أفدى من النقصان عارية	تسربلت برداء الحســن واتشحت
غيداء من ظبيات الأنس كانســة	لكنها عن معانى الأنس قد سنحـت
عينى على غير مرآى حسن طلعتها	وغير فضل بن فضل الله ماطمحت

---

(١) ابن حبيب: درة الأسلاك ص٣٦٤ .

(٢) ابن حبيب تذكرة النبيه جـ٣ ص١٢٦ .

(٣) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى جـ٥ ص١١٧، ١١٨ .

أما المؤرخ الكبير، والأديب الشاعر صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م، فقد كان أقربهم إلى قلب القاضى شهاب الدين العمرى. وكان الصفدى عالماً فاضلاً، كاتباً مجيداً ، رئيساً جليلاً، إماماً فى معرفة الأدب، رأساً فى صناعة الإنشاء، بارعاً فى النظم أو النثر (١) .

ولما كان الصفدى يعمل فى مجال عمل القاضى شهاب الدين العمرى، بل وتحت رئاسته فى ديوان الإنشاء بدمشق فى بعد أوقاته ، ولما كان مشاركاً له في فنون الأدب شعراً ونثراً؛ كانت العلاقة بينهما قوية ومتينة. وقد أثمرت مظاهر هذه الصداقة والمشاركة الوجدانية مساجلات ومراسلات من روائع الشعر والنثر، ترددت بينهما وتبودلت ، وقد أبانت عن قمم أدبية سامقة، كما كشفت عن مودة صادقة، وصداقة فائقة . ويكفى لما نقول برهاناً أن الصفدى قد أفرد فى كتابه الوافى بالوفيات حديثاً طويلاً عن ترجمة القاضى شهاب العمرى وماكان بينهما من علاقة فنية فى تسع عشرة صفحة (٢) .

وما قاله الشيخ صلاح الدين الصفدى فى حق القاضى شهاب الدين العمرى أعلى ماقيل فيه من مدح وثناء ، حيث يقول : «لاأرى أن اسم الكاتب لايصدق على غيره، ولايطلق على سواه، وأنشد فى هذا المعنى قائلاً :

لايعمل القول المكر	ر منه والرأى المردد
ظن يصيب به الغيو	ب إذا توخى أو تعمد

---

(١) ابن حبيب : درة الأسلاك ص٤٢٣ .

(٢) الصفدى: الوافى بالوفيات جـ٨ ص٢٥٢ - ٢٧١ .

مثـــل الحسام إذا تألق والشهاب إذا توقـــد

كالسيف يقطع وهو مسلول ويرهب حين يغمد (١)

وفى سرحة لهما على نهر العاصى أنشد القاضى شهاب الدين العمرى قائلاً :

لقد نزلنا على العاصى بمنزلـة   زانت محاسن شطيه حدائقها

تبكى نواعيرها العبرى بأدمعها   لكونه بعد لقياها يفارقهـا

فيرد عليه الصفدى قائلاً :

وناعورة فى جانب النهر قد غدت   تعبر عن شوقى الشجى وتعرب

فيرقص عطف الغصن تيها لأنها   تغنى له طول الزمان ويشرب (٢)

ثم فى إحدى مراسلاتهما المتبادلة، بعث الشيخ صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدى أبياتاً ملغزة عن نجم إلى القاضى شهاب الدين العمرى ، قال فيها :

ياسيـــداً أقلامـــه لـــم تـــزل   تهـــدى لآلـــى النظـــم والنثر

قل لى مااسم لـــم يـــزل قلبـــه   معذبـــاً بالبيـــض والسمـــر

وكله فى الأرض أو فى السمـــا   وثلثـــه يسبـــح فى البحـــر

فيرد عليه ابن فضل الله العمرى قائلاً :

دمت خليلـــي سائـــر الذكـــر   مثـــل الذى ألغـــزت فى القدر

بعثتهـــا نجميـــة قـــد حلـت   لكنهـــا مـــن سكـــر الشكـــر

---

(١) ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات جـ١ ص١٢ رقم ٧، الصفدى الوافى بالوفيات جـ٨ ص٢٥٣ .

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ١٠ ص٢٣٥ .

تطلع بالنجم فأمـــا الـــذى   فى مطمح الزهر أو الزهـــر
عجبت منها كيف شق الدجـــى   وما أتى إلا مـــع الفجـــر
من صنعـــة البـــر ولكنـــه   قد جاءنى فى راحة البحـــر
أقسمت منـــه قسمـــاً بالغـــا   بالفجر والليل إذا يســـر
لقـد أغرت الغيد إذا لـم تجـد   شبيهه فى الجيـــد والثغـــر
بعقـــد در مالـــه قيمـــة   ياحسنه للكوكـب الـــدرى
مسـهد تذكـــى لـــه مقلـــة   مقلوبة كالنظـــر الشـــزر
وهـــو الـــذى حققـت تعريفـه   عرفت منـــه منـــزل البـــدر
بواحد عـــــدوا لـــه سبعـــة   تقيس ذيـــل الليل بالشبـــر
فاعذر أخى اليـوم إن قصـــرت   بديهتى وأقبل لهـــا عـــذرى
فليس بالألغـــاز لـــى عـــادة   ولاغزا فى جيشهـا فكـــرى

كذلك كتب الشيخ صلاح الدين الصفدى للعمرى مع ضحاياً بعثها إليه قائلاً :

أياسيـداً أرجـــو دوام ظلالـــه   علينا وأن يمس بخير كما يضحى
وحقك ماهذا ضحايـا بعثتهـــا   ولكننى سقت الأعادى إلى الذبـح

فأرسل العمرى إليه قائلاً :

أتتنى ضحاياك التى قد بعثتها
لتصبح كالأعداء فى بكرة الأضحـى
وحقك أعدانـــا كـــلاب جميعهـــم
وحاشاك لاتجزى الكلاب لمن ضحى (١)

---

(١) الصفدى : الوافى بالوفيات جـ٨ ص٢٥٥، ٢٥٦ .

واجتمع جماعة يوماً بين يدى القاضى شهاب الدين بن فضل الله العمرى، وفيهم الشيخ صلاح الدين الصفدى، فقال لهم العمرى: أجيزوا المصراع الثانى من البيت الثانى :

وخد فوقه صدغ فمحمر ومخضر

ومبيض ومسود ....

فأسرع الشيخ صلاح الدين الصفدى مكملاً :

.... وفرق زانه جعد [١]

وما ذكرناه آنفا من ثمار يانعة، والتى أنضجتها تلك الصداقة القوية، التى ربطت بين كل من العمرى والصفدى قليل من كثير مما تبادلاه من نثر وشعر فى مناسبات عديدة ومختلفة . ولامجال هنا لذكر جميع حصادهما؛ وذلك حتى لانبعد ولو قليلاً عن خطنا المرسوم لهذا البحث .

ثم هناك صداقة أخرى متينة، ربطت بين القاضى شهاب الدين أحمد، والأديب بدر الدين أبو على حسن بن على بن حمد الغزى المعروف بالزغارى، كاتب الدرج بدمشق المحروسة ، المتوفى سنة ٧٥٣ هـ/ ١٣٥٢م، وكان بدر الدين الغزى أديباً عالماً، فاضلاً بارعاً ، جميل المحاضرة والأخلاق [٢] .

وتتبين هذه المودة الحميمة بين الطرفين ، من خلال ماكتبه كل منهما فى الآخر من مدح وثناء ، فيقول الشاعر الأديب بدر الدين فى مدح العمرى :

---

(١) الصفدى : المصدر السابق جـ٨ ص٢٥٧ .

(٢) ابن حبيب : درة الأسلاك ص٣٨٣ ، تذكرة النبيه جـ٣ ص١٦٧، ابن حجر: الدرر الكامن جـ١ ص٢٢ ترجمة رقم ١٥٢٩ .

شهاب ينير الخطب رأياً مهذباً   على الحسام الهندوانى يطبع
سليل أبى حفص إلى مثل هديه   وأوصافه فى صالح الذكر ينزع
نهاه أمير المؤمنين فلم يزل   لآثاره فيما مضى ينتبع
حوى قصبات السبق وانتظمت   له صفات علا فى غيره ليس تجمع [١]

ويقول أيضاً فيه فى موشح :

دع ذا وقل مديحاً   فى أحمد بن يحيى
من لم يزل مزيحاً   أعذار كل عليا
منتسباً صريحاً   آخره ودنيا
تخال منه يوحا   فى الدست حسن رؤيا [٢]

وقد عمل بدر الدين حسن الغزى بديوان الإنشاء بدمشق، ومن المحتمل أنه كان بالديوان الشامى أيام أن كان القاضى شهاب الدين العمرى كاتباً للسر بها، أو أيام أخيه بدر الدين محمد بن يحيى بن فضل الله العمرى. وأياً ماكان فإنه كان على صلة قوية بالقاضى شهاب الدين العمرى. بدليل ماسبق أن ذكرناه من مدح وثناء من بدر الدين الغزى للعمرى مما جعل الأخير يذكره فى كتابه «ذهبية العصر» وقد بلغ فى إطرائه ووصفه ، وذلك خلاف تسجيله فى ذهبيته أربع كراريس من ديوان بدر الدين الغزى [٣] .

وهكذا كانت هذه الصداقات التى ربطت بين ابن فضل الله العمرى وأدباء وكتاب عصره، أعظم الأثر فى نتاجه الأدبى العظيم، والتى ولدت وترعرت فى ظلها، وأينعت تحت دفئها .

---

(١) ابن حبيب : درة الأسلاك ص٣٦٤ .
(٢) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى جـ٥ ص١١٠ - ١١٤ .
(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة ، جـ٢ ص٢٢ .

مؤلفات العمرى والتعريف بالمصطلح الشريف :

ترك شهاب الدين العمرى تراثاً هائلاً من المؤلفات المتنوعة فى موضوعاتها ، والمختلفة فى اتجاهاتها ، ولعل مؤلفه الكبير بمجلداته العديدة - والذى يصل إلى سبعة وعشرين مجلداً - وهو كتاب «مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار[1] لأكبر دليل على بروز شهاب الدين العمرى فى كثير من العلوم والفنون؛ حيث حوى هذا المؤلف العظيم على معارف كثيرة ومتنوعة .

وموضوع الكتاب فى وصف الأرض وما اشتمل عليها براً وبحراً.. ويعنى ذلك أن العمرى قد قسم موسوعته العلمية إلى قسمين رئيسين :

الأول : فى وصف الأرض .

الثانى : فى سكان الأرض .

ويتفرع القسم الأول إلى قسمين :

١ - المسالك ،

٢ - الممالك .

أما الأول : فهو فى وصف الأرض وهيئتها ، وذكر الأقاليم السبعة، والبحار، ومايتعلق بهما ، وذكر الطرق ، وذكر القبلة؛ وكيفية الاستدلال عليها.

أما الثانى : ففيه وصف للممالك الإسلامية فقط، ولم يتكلم العمرى عن الممالك غير الإسلامية . ويبدو أنه لم يكن مستعداً

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب، جـ٦ ص١٦٠ .

لتكملة هذا الفصل من الكتاب فى حينه، ومن هنا سارع العمرى بالاعتذار عن هذا التقصير، فقال فى هذا الشأن: «وإن كان للعمر فسحة، وفى الجسم صحة، وللهمة نشاط، وللنفس انبساط لأذيلن بمالك الكفر هذا التصنيف» .

أما القسم الثانى من الكتاب، والذى يتناول فيه سكان الأرض؛ فقسمه شهاب الدين العمرى إلى أبواب من المعارف المختلفة، فمنها باب فى المقارنة بين المشرق والمغرب ، وباب فى الديانات، وباب فى طوائف المتدينين، وباب فى التاريخ .

والكتاب بهذا الإخراج الفريد موسوعة علمية عظيمة، ودائرة معارف متعددة ومتنوعة، ويشتمل على كل مايهم كتاب الديوان بمختلف أنواعهم ورتبهم[1]. ومن هنا كان هذا المؤلف أعظم شاهد يوضح ماكان لشهاب الدين أحمد بن فضل الله العمرى من ثقافة رفيعة، وعلم غزير يقول أبو المحاسن يوسف ابن تغرى بردى – وهو أحد كبار مؤرخى القرن التاسع – فى شأن هذا الكتاب : «وكتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، قلت لو لم يكن له إلا هذه التسمية فكفاه»[2] .

---

(١) انظر : عن هذه التقسيمات كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار للعمرى، البغدادى: هدية العارفين جـ١ص٠١١، على السيد: القدس فى العصر المملوكى ص١٤١ ، ١٤٢ .

(٢) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى، جـ٢ ص٢٦٥ .

ومن مؤلفات القاضى شهاب الدين العمرى الأخرى :

١ - فواصل السمر فى فضائل آل عمر .

وهو فى أربعة مجلدات ، ويختص بالتعريف بآل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضى الله عنه وأرضاه. وقد سبق أن ذكرنا أن القاضى شهاب الدين العمرى من نسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وكان ذلك سبب اهتمامه بتأليف هذا الكتاب الخاص بآل عمر بن الخطاب إظهاراً لمناقب أسلافه من بنى عدى[1].

٢ - كتاب «الدعوة المستجابة» .

٣ - كتاب «صبابة المشتاق». وهو كتاب خاص فى المدائح النبوية .

٤ - كتاب «سفرة السامر ويقظة المسافر» .

٥ - كتاب «دمعة الباكى ويقظة الساهر» .

٦ - كتاب «تذكرة الخاطر» .

٧ - كتاب «حسن الوفا لمشاهير الخلفا» .

٨ - كتاب «نفحة الروضة» .

٩ - كتاب «ذهبية العصر» .

ونأتى أخيراً إلى أشهر كتب القاضى شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمرى، والذى ظل من أهم الكتب عند كتاب الدواوين السلطانية مصراً وشاماً أكثر من ثلاثمائة عام[2]، وهو كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» .

---

(١) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ، جـ٢ ص٢٦٥ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور، جـ١ ق١ ص٥٣٣ .

وقد سبق أن ذكرنا فى مقدمة هذا الكتاب أن علوم الكتابة قد أضيفت لها إضافات واضحة فى عصر سلاطين المماليك؛ حيث أضاف كبار كتاب هذا المجال من العلماء قواعد ودساتير ومعارف جديدة ومثمرة فى عالم الكتابة الديوانية .

ووضحت هذه الإضافات بأجل معانيها فى الكتب التى عرفت بكتب المصطلح الشريف .. وهى الكتب التى وضعت خصيصاً لتقنين أصول الكتابة الإنشائية بالدواوين المملوكية بالديار المصرية والممالك الشامية زمن سلاطين المماليك .

وقد اعتلى القاضى شهاب الدين العمرى الريادة بين مؤلفى كتب المصطلح بكتابه هذا. والحق أنه كتاب فريد فى نوعه ، عظيم فى فائدته ، جليل فى قدره ، ورائد لمثيلاته من كتب المصطلح الشريف .

وأثنى العلامة شهاب الدين أحمد بن على القلقشندى أحد أهم مؤلفى هذا النوع من الكتب على القاضى شهاب الدين العمرى، وكتابه التعريف، فقال :

«وكان الدستور والموسوم بـ«التعريف بالمصطلح» صنعة القاضى الألمعى ، والمصقع اللوزعى، ملك الكتابة وامامها ، وسلطان البلاغة ومالك زمامها، المقر[1] الشهابى أحمد بن فضل الله العدوى

---

(١) المقر : لقب يطلق على كبار العسكريين وأكابر أرباب الأقلام، وأصله فى اللغة لموضع الاستقرار، ويكنى به تعظيماً عن التفوه بذكر اسم صاحبه.القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥ ص٤٩٤، ٤٩٥، عبد الرحمن أمين: من قواعد تحديد الرتب زمن سلاطين المماليك، ص٣٣٧ .

العمرى، سقى الله تعالى عهده العهاد، وألبسه سوابغ الرحمة والرضوان يوم المعاد، هو أنفس الكتب المصنفة فى هذا الباب عقداً، وأعدلها طريقاً، وأعذبها ورداً. قد أحاط من المحاسن بجوانبها، وأعقمت الأفكار عن مثله، ففاز من الصنعة بأحمد مذاهبها فكان حقيقاً بقوله فى خطبته :

ياطالب الإنشاء خد علمه   عنى فعلمى غير منكورى
ولاتقف فى باب غيرى فما   تدخله إلا بدستورى[١]

وإذا تفحصنا كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» وتعرفنا على مافيه من موضوعات، لتأكد لنا أهمية هذا الكتاب، وخطورة مقاصده، ودقة مراده .

وقد قسم العمرى كتابه إلى مقدمة وسبعة فصول فوضح فى المقدمة أهمية الكتاب، وأسباب تأليفه له. ثم حدد فيها فصوله :

١ - تناول العمرى فى الفصل الأول رتب المكاتبات الصادرة عن الأبواب السلطانية، وبدأ ذلك برتبة مكاتبة الخلفاء العباسيين بمصر، وولاة عهود السلطنة بالديار المصرية وأئمة الزيدية[٢]

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ١ ص٧ .

(٢) هى فرقة من فرق الشيعة المعتدلة، وهم أتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وكان مقرهم باليمن، ولهم إمام كان على علاقة بسلاطين المماليك فى هذا الزمان، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١ ص١٥٤، العمرى: التعريف ص١٥ - ١٧، القلقشندى: صبح الأعشى جـ٧ ص٣٣٢ - ٣٣٩ .

باليمن، ثم أخذ فى تحديد رتب المكاتبين من سلاطين وملوك - مسلمين وغيرهم - شرقاً وغرباً ، وذلك بالإضافة إلى رتب مكاتبة الأمراء والوزراء فى الدول الأجنبية ، وبعض كبار رجالاتهم ، ورؤساء القبائل .

وبين العمرى فى هذا الشأن طرق تحديد الرتب للمكاتبين جميعاً كل حسب قدره علوا وانخفاضاً[1] .

٢ - وفى الفصل الثانى تناول بالتوضيح مايكتب فى ولاية العهود بمختلف أنواعها ، من خلفاء إلى خلفاء، ومن خلفاء إلى ملوك، ومن ملوك إلى ملوك، ومايترتب على ذلك من تغيير فى أساليبها، وتنويع فى ألقابها ، وذلك حسب رتب المكتوب عنهم والمكتوب لهم .

كذلك تناول شهاب الدين العمرى فى هذا الفصل قواعد الكتاب فى الولايات بأنواعها من تقاليد وتفاويض وتواقيع[2]، وأوضح فى هذا الشأن مايميز هذه الولايات عند الكتابة ، من حيث حجم الورق، ونوع القلم المناسب، ومن حيث مفتتح الكتابة والدعاء

---

(١) انظر كتاب التعريف بالمصطلح الشريف من ص٤ - ٨٤ .

(٢) التقاليد جمع تقليد : ونكتب فيه الولايات الكبرى كالنيابات الكبيرة للعسكريين، وللوزراء وقضاة القضاة وكتاب السر من العلماء وأرباب الأقلام. أما التفاويض : وكانت تكتب فيها ولايات القضاة خاصة، أما التواقيع، فكانت تكتب فيها بعض الولايات العسكرية الصغيرة، كما كانت تكتب فيها عامة الولايات المدنية من أرباب الأقلام والعلماء. المحبى تثقيف التعريف ، ص٢٢٠، سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص٤٢٤ .

للمكتوب لهم، ومايأخذونه من ألقاب بمختلف أنواعها؛ من ألقاب أصول، وتوابع، وألقاب فروع مفردة كانت أو مركبة، ومن حيث نوع العلامة السلطانية ماإذا كانت (أخوه، أووالده، أوالاسم الشريف) [1]، ثم أخيراً من حيث مختتم الكتابة فى الولايات وعنوان المكتوب لهم والتعريف بهم .

وأشار العمرى أيضاً بالإضافة إلى ماتقدم إلى إمكانية اختلاف رتب المكاتبة داخل الولاية الواحدة، وذلك حسب رتبة المكتوب لهم أو حسب قدر الولاية أو حجمها [2] .

ثم أعقب ذلك بإيراد جملة من الوصايا التى تكتب فى مختتم الولايات، وذلك بما يناسب الولايات التى تولاها أصحابها .

٣ - ولما كان من المفروض على أصحاب الولايات أن يقسموا عند اضطلاعهم بمهام وظائفهم، كتب العمرى جملة من الأيمانات المتنوعة والمختلفة فى الفصل الثالث، وذلك حسب نوع الولاية، ومذهب المتولين لها إن كان مسلماً، أو حسب دينه الذى يتدين به إن كان غير مسلم، وذلك حتى يتسنى لهؤلاء جميعاً، أن يكونوا على دراية بما يقسمون به [3] .

---

(١) عبد الرحمن أمين : من قواعد تحديد الرتب ص٣٢٧ - ٣٢٩ .

(٢) الفصل الثانى من الكتاب من ٨٤ - ١٤٦ .

(٣) انظر فى الكتاب من ١٤٦ - ١٦٤ .

٤ - وفى الفصل الرابع وضع العمرى مايكتب فى الأمانات - جمع أمان - وفى الدفن - أى دفن الذنب فى الديات - وهو خاص بالأعراب ، وكذلك مايكتب فى الهدن، والمواصفات[1]، والمفاسخات مع الأعداء[2] .

٥ - وخصص القاضى شهاب الدين العمرى الفصل الخامس فى تحديد حدود الممالك والولايات التابعة للدولة المملوكية بالديار المصرية والشامية، وماهو مضاف إليها من المدن، والقلاع، والرساتق[3]، وذلك حتى يكون معلوماً عند الولاة حدود ولاياتهم ومضافاتها[4] .

٦ - وفى الفصل السادس حدد العمرى أيضاً مراكز البريد العادى ، والبريد الطائر - عن طريق الحمام والبريد السريع - عن طريق الإشارات - فى كل من البلاد المصرية والممالك الشامية ، بخلاف الإشارات المستخدمة مع البلاد الأجنبية المجاورة وغيرها عند حدوث خطر .

---

(١) المواصفات ، جمع مواصفة : وهو نوع من الهدن ، وذلك إذا كانت الهدنة من الجانبين، العمرى: التعريف ، ص١١٩، ١٧٠، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ١٤ ص٣ .

(٢) انظر فى الكتاب من ١٦٤ - ١٧٢ .

(٣) مفردها رستاق : وهو لفظ فارسى معناه القرية ، أو محلة العسكر ، أو البلد التجارى، البقلى: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١٥٩ .

(٤) الفصل الخامس من ١٧٢ - ١٨٤ .

وأضاف إلى ذلك تحديد المراكز الشامية التى تجلب منها الثلج حتى قصرالسلطان بالقلعة فى مصر، سواء كان ذلك عن طريق الإبل، أو المراكب[١].

٧ - وختم شهاب الدين العمرى فصول كتابه بالفصل السابع والذى خصصه فيما يكتب فى وصف ماتدعو الحاجة إلى وصفه ، مما يرتبط بالسلطان واستعمالاته[٢].

---

(١) الفصل السادس من ١٨٤ - ٢٠٣ .

(٢) الفصل السابق من ٢٠٣ - ٢٣٩ .

(٣)

وظائف العمرى

واثرها فى محنته

وظائف العمري :

رافق القاضي شهاب الدين العمري والده محي الدين يحيى بن فضل الله أثناء تنقلاته الوظيفية بين الممالك الشامية والديار المصرية، وعايش أثنائها تدرج والده في سلم الكتابة الإنشائية إلى أن وصل أعلى وظائف الديوان ، وهي كتابة السر وصحابة دواوين الإنشاء بالديار المصرية .

ولاشك أن القاضي شهاب الدين العمري لطول مصاحبته لأبيه، ومعاشرته إياه منذ نعومة أظفاره، قد شرب وتعاني الكتابة الإنشائية، حتى أصبح - كما رأينا - أستاذاً لهذا الفن الرفيع والشريف .

فاشتغل في بداية الأمر كاتباً للإنشاء مع والده وتنقل معه بين الممالك الشامية والديار المصرية. وفي محرم من سنة ٧٢٩ هـ/ ١٣٢٨ م، استدعى السلطان الناصر محمد بن قلاوون القاضي محيي الدين يحيى بن فضل الله من دمشق - وكان كاتباً لسرها ، وولاه كتابة السر - صحابة دواوين الإنشاء بالديار المصرية - ولما كان السلطان يرى ثقل أعباء هذه الوظيفة على القاضي محيي الدين بن فضل الله لكبر سنه، وثقل سمعه، واحتياجه إلى من يساعده فقد استدعى معه ابنه القاضي شهاب الدين العمري؛ ليكون مساعد لوالده في كتاب السر[1] .

---

(١) المقريزي : السلوك: جـ٢ ص٣٠٩، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٤ ص١٤٣.

ثم أعاد الناصر كلا من محيى الدين ووالده إلى وظيفتهما السابقة بدمشق فى سنة ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١م[١]. ولم يلبث أن استدعاهما مرة أخرى إلي الديار المصرية فى سنة ٧٣٣. وعين الناصر محمد بن قلاوون حينئذ القاضى شهاب الدين بن فضل الله العمرى نائباً لوالده فى صحابة دواوين الإنشاء بالديار المصرية ، وكان من مهامه الرئيسية قراءة البريد فى حضرة السلطان[٢] .

وقد استمر القاضى شهاب الدين العمرى نائباً لوالده فى الديوان حتى أواخر سنة ٧٣٦ هـ/ ١٣٣٥م. ثم فى هذا التاريخ منعه السلطان الناصر محمد بن قلاوون من المباشرة بين يديه؛ وذلك لأمر قد صدر منه فى حق السلطان، وأمر القاضى محيى الدين أن يدخل عليه ابنه الأصغر علاء الدين على، لقراءة البريد بين يديه بدلاً من شهاب الدين العمرى فانقطع شهاب الدين بداره من الغبن الذى لحقه[٣] .

وعلى الرغم مما يفهم من انقطاع العمرى فى بيته من أنه أصبح معزولاً عن الديوان ، إلا أن الشواهد الآتية تدل فى وضوح من أنه لم يعزل عن الديوان كلياً، وإن كان قد تم عزله عن نيابة والده فى كتابة السر فقط؛ ذلك لأن العمرى قد ظهر فى بعض قضايا الديوان السلطانى بعد عزله من نيابة والده سنة ٧٣٦ هـ ومنها :

---

(١) ابن حبيب : تذكرة النبيه جـ٢ ص٢٨٨ ، المقريزى : السلوك جـ٢ ص٣٤٩ .

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة حـ١ ص٣٣١ ترجمة رقم ٨٢٨ .

(٣) المقريزى: السلوك جـ٢ ص٢٦٥، الشجاعى: تاريخ الملك الناصر ص٢٤ .

١ - أن القاضي شهاب الدين العمري كتب بخط يده توقيعاً بمسامحة صادرة من دواوين الإنشاء بالديار المصرية للمسئولين بنيابة حلب، وذلك في سنة ٧٣٧ هـ أي بعد سنة من غضب السلطان الناصر محمد بن قلاوون منه[١] .

٢ - أيضاً في عام ٧٣٧ هـ حضر القاضي شهاب الدين العمري مجلس حكم، عقده القاضي جلال الدين القزويني[٢] قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية؛ لمحاكمة شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسعردي، المعروف بابن اللبان حيث ادعى عليه بأشياء منكرة من الحلول والإتحاد والغلو في القرمطة . وقد انتصر له القاضي شهاب الدين العمري ومعه بعض كبار رجال الدولة، حتى كان لهم الفضل جميعاً في إنقاذ شمس الدين بن اللبان من الهلاك على يد القضاة[٣] .

٣ - وفي عام ٧٣٨هـ استعان بالقاضي شهاب الدين العمري شكاة قاضي قضاة الشافعية جلال الدين القزويني لاستغلال أولاده لوظيفته ، فقد أخذ العمري منهم قصيدة ذم قاسية في

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى جـ١٣ ص٣٦ .

(٢) هو القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر المتوفى سنة ٧٣٩هـ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٤ ص٣ ترجمة رقم ٢ .

(٣) عن ترجمة شمس الدين بن اللبان وحكايته انظر ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص١٧٧، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٣ ص٣٣٠ ترجمة رقم ٨٨٦ .

القـزوينى، وأوصلهـا للسلطان وقـرأها عليـه نكاية فى قـاضى القضاة، ومنها :

قاضى على الأنام سل صارماً بحده يلتقـــط الدراهمـا
وسن من أولاده لهـــا دمـــا جردهم فانتهكوا المحارما
والشبل فى المخبر مثل الأسد
وابنه البدرى خطيب جلقى[1] بامرأة الكامل مشغوف شقى
بادره بالعزل فليس يرتقـــى منابر الإسلامى إلا متقـــى
متزر ثوب العفاف مرتد[2]

وكان لهذه القصيدة أبلغ الأثر فى استياء السلطان من القاضى جـلال الدين القـزوينى، فـسـارع بعـزله من قـضـاء القـضـاة بالديار المصرية، وإخراجه هو أولاده من القاهرة إلى دمشق[3] .

وفى رابع من شعـبان سنة ٣٧٩ هـ رفع شـهـاب الدين العـمـرى قصة يشكو فيها كثرة كلفه ، وطلب الإذن من السلطان بالتوجه إلى دمشق ، ومن الواضح أنه مازال يعمل بالديوان ويأخذ راتباً عنه، وإلا لما شكى ولما طلب الإذن بالتوجه إلى دمشق[4] .

---

(١) جلق يقصد بها دمشق، ياقوت : معجم البلدان .

(٢) هذه القـصـيـدة من شعـر حسن بن على بن حـمـد الغـزى المتوفى سنة ٧٥٣، ابن حـبـيـب : درة الأسـلاك ص٣٨٣، المقـريزى: السلوك جـ٢ ص٤٤١ .

(٣) المقريزى: السلوك جـ٢ ص٤٣٩ ٤٤٢ .

(٤) المقريزى: المصدر السابق جـ٢ ص٤٦٥ .

ثم فى محرم من سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م تولى القاضى شهاب الدين بن فضل الله العمرى من قبل الناصر محمد بن قلاوون كتابة السر وصاحب ديوان الإنشاء بدمشق ، وأصبح العمرى بذلك منفرداً بوظيفة كاتب السر بدمشق للمرة الأولى، بعد أن كان نائباً لوالده طوال عمله السابق فى هذه الوظيفة(١)

وظل العمرى صاحباً لديوان الإنشاء بدمشق حتى الخامس والعشرين من جمادى الآخرة من سنة ٧٤٣هـ فى عصر السلطان الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون(٢)، فعزل فى هذا التاريخ، وعين أخوه القاضى بدر الدين محمد بن يحيى بن فضل الله بدلاً منه(٣).

وكانت كتابة سر دمشق هى آخر الوظائف التى اعتلاها القاضى شهاب الدين العمرى فى دولة سلاطين المماليك ، حيث استقر بعد عزله الأخير من رئاسة ديوان الإنشاء بمدينة دمشق ، فى عمارته التى أنشأها بسفح قاسيون(٤)، بالقرب من حمام النحاس شرقى الصالحية(٥). وذلك مع الاستمرار فى صرف راتبه الذى كان يتقاضاه قبل عزله(٦).

---

(١) المقريزى: المصدر السابق حـ٢ ص٥١٢ .

(٢) عن ترجمته انظر، ابن تغرى بردى: المنهل الصافى جـ٢ ص٤٢٥ رقم ٤٥٢ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص٢٠٥ .

(٤) قاسيون : اسم جبل يشرف على دمشق ، ياقوت : معجم البلدان .

(٥) الصالحية : قرية كبيرة مشهورة فى سفح جبل قاسيون ، صفى الدين البغدادى: مراصد الاطلاع ، جـ٢ ص٨٣٠ .

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ١٤ ص٢٠٩٧ .

وكان لترك القاضى شهاب الدين أحمد بن فضل الله الوظائف، واستقراره بعمارته بسفح قاسيون بدمشق، واكتفائه بهذا القدر من العمل فى كتابة دواوين الإنشاء فى الديار المصرية والبلاد الشامية، وزهده فيها وعدم سعيه وراءها، أبلغ الأثر فيما وصل إليه العمرى من شأن علمى كبير. وفيما تركه من تراث عظيم.

فقد انكب حينئذ على العلوم بمختلف اتجاهاتها، يستنطقها، ويجليها، حتى أخرج لنا علماً نافعاً، وتراثاً رائعاً فى كثير من اهتمامات العلوم فى عصره. كان من أهمها: «كتاب التعريف بالمصطلح الشريف» الذى أصبح نبراساً لكتاب الدواوين الإنشائية مصراً وشاماً بمختلف اهتماماتهم وطبقاتهم أكثر من ثلاثمائة عام[1].

بين إمكاناته العلمية ووظائفه :

هكذا نرى أن القاضى شهاب الدين العمرى لم يشغل غير حيز زمنى صغير فى وظيفة كاتب السر، وخصوصاً بعد انفراده بصحابة الديوان بدمشق. ولا وجه للمقارنة بين الوقت الذى قضاه كل من والده القاضى محيى الدين، وعمه القاضى شرف الدين عبد الوهاب، وأخيه علاء الدين على، بل وابن أخيه بدر الدين محمد بن علاء الدين. ويكفى أن هؤلاء قد توفوا وهم يشغلون هذه الوظيفة المرموقة، بينما

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور، جـ١ ق١ ص٥٣٣ .

ظل القاضى شهاب الدين العمرى معزولاً من سنة ٧٤٣ هـ وإلى تاريخ وفاته فى سنة ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م[١] .

وإذا تمعنا النظر فى هذا الأمر نرى مفارقة عجيبة وغريبة أيضاً فى نفس الوقت؛ ذلك لأن القاضى شهاب الدين العمرى قد امتلك من أدوات الكتابة الإنشائية وقوانينها وضوابطها مالم يمتلكها أحد من آل فضل الله العمرى، سواء كانوا من السابقين له، أو اللاحقين به. حتى أصبح بما أحرزه من سبق فى هذه الناحية عميد أسرته، بل وإمام عصره فى فنون الكتابة الإنشائية - كما رأينا سابقاً - ، حتى إذا ذكر ابن فضل الله العمرى فى مجلس علم لم ينسحب إلا على القاضى شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله، دون غيره من أفراد العائلة. يقول ابن كثير عنه: «وانتهت إليه رئاسة الإنشاء، وكان يشبه القاضى الفاضل فى زمانه»[٢] .

كل هذا الرصيد العلمى الكبير، جعل من القاضى شهاب الدين العمرى أبا للدبلوماسية في عصره، وأستاذاً لهذا الفن - بلا منازع- لكتاب الإنشاء بجميع طوائفهم ، ولعصور عديدة تالية له. ويكفى أن كتابه الذى وضعه فى الفن الرفيع، وهو «التعريف بالمصطلح الشريف» ظل الموقعون والكتاب يعملون بما فيها من قوانين وضوابط ونظم، حتى عصر المؤرخ ابن إياس فى القرن العاشر الهجرى[٣] .

---

(١) انظر ماسبق عن تراجم أسرة ابن فضل الله العمرى، والزمن الذى قضوه فى وظيفة كتابة السر .

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ١٤ ص٢٢٩ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور، جـ١ ق١ ص٥٣٣ .

ومثل هذا الرجل بفضله وعلمه كان حرياً أن يكون كاتب سر للدولة المملوكية طوال حياته، لافى أقاليم الدولة فحسب ، وان كانت دمشق، بل فى ديوان السلطان بالقاهرة عاصمة دولة سلاطين المماليك.

ولكن الذى حدث كان غير ذلك تماماً. فبقدر ماسطا نجم العمرى فى عالم السياسة بتأليفه هذا الكتاب الدبلوماسى الخطير قروناً طويلة ، بقدر ماأفل نجمه مبكراً فى عالم الوظائف الديوانية، بينما سطا نجم بعض أفراد أسرته من أسلاف وأقران وأسباط فى عالم الوظائف الديوانية مصراً وشاماً سنيناً طوالاً؛ وذلك على الرغم من قلة بضاعتهم العلمية، مقارنة بالقاضى شهاب الدين العمرى.

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا كانت إذاً هذه المفارقة العجيبة والكبيرة بين علم القاضى شهاب الدين وعمله، مع أن الواجب أن يكون هناك تناسق بينهما . ؟

أقول أن القاضى شهاب الدين العمرى كان كثير الاعتداد بنفسه، قوياً فى إبائه إلى درجة الحدة فى بعض الأحيان[١].

وقد جعلته هذه الصفات عرضة فى أحيان ماللاصطدام برؤسائه، عند معالجة بعض الأمور الديوانية. فلم يجعله إباؤه وشممه أن يدارى أو يوارب حتى لمصلحته الخاصة، ويسوس الأمور حتى يفوت على رؤسائه مايغضهم منه .

---

(١) الشجاعى: تاريخ الملك الناصر ص٢٤ .

ومن هنا كانت المفارقة بين وضعه لدستوره العظيم في فن الدبلوماسية في عصره، وماتلاه من عصور، وبين تطبيقه على خاصة نفسه أحياناً إذا اصطدم بمن أراد النيل من إبائه واعتداده بنفسه .

ولم يكن ذلك عن نقيصة في العمرى، ولا عن عيب فيه؛ فلقد وصفه أقرانه من مؤرخى عصره، ومن جاءوا بعدهم بكثير من الصفات الحميدة، فقيل فيه: بأنه كان جميل الأخلاق لطيفه، واسع الصدر، بشر المحيا، جواداً ممدوحاً، يحب العلماء والفقراء[1] .

ولم يخرج عن هذا الإجماع فى أوصاف القاضى شهاب الدين العمرى إلا شمس الدين الشجاعى الذى وصفه قائلاً : «وكان له نفس قوية، وأخلاق شرسة ، وتبعه المقريزى فى ذلك، أما ابن العماد الحنبلى فقد ذكر ماقيل فى العمري من مدح سابقيه ، وما ذكره الشجاعى من مدح وذم فى نفس الوقت[2] .

ومن الواضح أن قوة النفس تعنى الإباء والأنفة، ومن البين أيضاً أن من يمتلك نفساً قوية، قد يصل به الأمر إلى الحدة إذا ماحاول أحد كسر نفسه، أو النيل من إبائه، ولو كان ذلك من عظيم ذا شأن كما هو فى حالة العمرى .

---

(١) ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات جـ١ ص١٢ ترجمة رقم٧، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٤ ص٢٢٩، ابن تغرى بردى : المنهل الصافى جـ٢ ص٢٦٥ ، ابن حبيب: تذكرة النبيه جـ٣ ص١٢٥.

(٢) الشجاعى : تاريخ الملك الناصر ص٢٤، المقريزى: الخطط ، جـ٢ ص٥٧، ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٦ ص١٦٠ .

ومن هنا كانت هذه الحدة الزائدة سبباً فى اصطدم القاضى شهاب الدين العمرى مع من هم أعلى منه رتبة وشأناً . كما حدث مثل ذلك بينه وبين الأمير صلاح الدين يوسف الدوادار[١] فى سنة ٧٣٣هـ، أيام أن كان العمرى نائباً لأبيه فى كتابة السر بالديار المصرية. وكان الأمير صلاح الدين الدوادار مترفعاً، يعامل رفقاءه فى العمل بشمم وتكبر، لكنه لم يستطع أن يسلك مع شهاب الدين العمرى مسلكه مع من سبقوه فى كتابة السر، فصارت لذلك بينهما كراهية واضحة، وخلافات مستمرة، وكان النصر فى نهاية الأمر حليف شهاب حيث نفى السلطان الناصر محمد بن قلاوون صلاح الدين يوسف الدوادار إلى صفد فى شوال من سنة ٧٣٣ هـ، وذلك لسوء خلقه وسلوكه[٢].

ولم تسكت حدة العمرى عند حد الأمراء فقط، بل تجاوزت ذلك بكثير حتى أوصلته حدته إلى حد الصدام بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون ، والذى لم يجرؤ أحد من كبار رجالات دولته طوال حكمه فى معارضته أو الصدام به، فما بالك وشهاب الدين العمرى يقف معارضاً لسلطانه ، بل ويجابهه بكلام شديد اللهجة .

---

(١) هو حامل دواة السلطان ، ومايتبع ذلك من تبليغ الرسائل عن السلطان ، والقصص وتقديم البريد، المقريزى: الخطط جـ٢ ص٢٢٢، البقلى: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص١٣٩ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ٢ ص٣٦١، ٣٦٢ .

وكانت هذه الواقعة عند صدور قرار السلطان الناصر بتعيين القاضى علم الدين محمد بن أحمد بن مفضل فى صحابة ديوان الإنشاء بدمشق ، وذلك بإيعاز من الأمير تنكز نائب دمشق . ولم يرض شهاب الدين العمرى بهذا القرار؛ لأنه رأى أن القاضى علم الدين محمد أقل شأناً من أن يلى هذه الوظيفة ، وخصوصاً وأن عائلته كانوا حديثى عهد بالإسلام، فقال العمرى للسلطان : «إن هذا الرجل قبطى، وليس له يد فى هذه الصناعة ، ولايدريها ، ولايعرف غير صنعة الكتاب». فلم يلتفت إليه الناصر، فكتب له توقيعه عن كره. فعاد فأمره الناصر أن يكتب فى التوقيع زيادة فى راتب علم الدين ويزيد فى ألقابه، فامتنع العمرى عندئذ عن الكتابة، فكرر السلطان أمره، فقال شهاب الدين العمرى غاضباً : «كيف يكون رجل مسلمانى قبطى تعمله كاتب سر، وتزيد جامكيته»[1] فاستشاط الملك الناصر حانقاً لتطاول أحد موظفى ديوانه عليه فشتمه، وهنا لم يترك لشهاب الدين العمرى إباؤه وقوة نفسه وما أفرزاها من حدة أن يتصرف حيال غضب السلطان وغليانه بحكمة ورباطة جأش، حتى يمتص غضب السلطان وغليانه، ففاجأ السلطان قائلاً: مايفلح من يخدمك، وخدمتك على حرام»، ونهض من بين يدى السلطان قائماً.[2] ولم يشك أحد من الحاضرين فى هذا المجلس فى أن

---

(١) الجامكية: الراتب الذى تقرره الدولة على العاملين فى دواوين الدولة، القلقشندى : صبح الأعشى جـ٣ ص٤٥٣ ، ٤٥٥ ، سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص٤٢٦ .

(٢) الشجاعى: تاريخ الملك الناصر ص٢٤ ، المقريزى : السلوك جـ٢ ص٤٦٥ .

السلطان سيأمر بضرب عنقه؛ ولكن الناصر بالرغم من شدة غضبه واستيائه، وعلى الرغم مما كان متوقعاً صدوره من حكم، وما كان ذلك إلا لحبه وتقديره الكبير للقاضى محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى كاتب سره، ثم أمر السلطان القاضى محيى الدين بعد توسلاته الكثيرة بالصفح عن ابنه شهاب الدين أن يدخل ابنه علاء الدين إلى مجلسه ، لقراءة الكتب عليه، بدلاً من شهاب الدين العمرى[1] .

والغريب أن علم الدين محمد بن القطب الذى تسبب فيما حدث للقاضى شهاب الدين العمرى، لم يستمر كثيراً فى كتابة السر بدمشق ، إذ أنه لم يلبث أن اتهم بقطع بعض الحقوق، وأخذ البراطيل[2] فقبض عليه نائب دمشق، وأمر بضربه بالمقارع، وربطه فى عامود ، ومعاقبته بالبندق[3]، ومصادرته حتى أخذ منه عشرون

---

(١) ابن حجر: الدرر الكامنة جـ١ ص٣٣٢ .

(٢) البراطيل، مفردها البرطلة، وهى : الرشوة ، أحمد عبد الرازق أحمد: البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك ص١١ .

(٣) البندق: كرات كانت تصنع من الطين، أو الحجارة ، أو الرصاص، وترمى بالأقواس، ثم ثارت ترمى بالمزاريق والأنابيب عن طريق ضغط الهواء من مؤخر الأنبوب ، القلقشندى: صبح الأعشى جـ٢ص١٤٥ ، البقلى: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص٦٨، سعيد عاشور: العصر المماليكى فى مصر والشام ص٤٢٠ .

ألف دينار، ومـائتى ألف درهم . كل ذلك قـبل أن يمضى سنتـان فى وظيفته[1] .

ويجب أن نعترف بأن هذه الحدة التى وصف بها القاضى شهاب الدين العمرى، ولو كانت هذه الحدة ناتجة من إبائه وقـوة نفسـه، لم يكن لتتناسب مع موظف يعمل بديوان السلطان، إذ أنه من المفروض أن يكون صبـوراً رابط الجأش هادئاً فى تعـامله مع رؤسـائه، أى أن يكون دبلوماسياً بالمعنى الأعم. ومن هنا كانت هذه المفارقة الواسعة بين حياة العمرى العلمية والوظيفية .

---

(١) الشـجـاعى: تاريخ الملك الناصـر ص٢٣، ٢٤، ابن كـثـيـر: البـداية والنهاية جـ١٤ ص١٧٤، ١٨٠، المقريزى : السلوك جـ٢ ص٤٣٦.

محنة القاضي شهاب الدين العمري :

لم تترك القاضي شهاب الدين العمرى تلك الحادثة التى وقعت بينه وبين الناصر محمد بن قلاوون أن يهنأ فى سلام على الرغم من انقطاعه فى منزله زمناً. ذلك أن الناصر محمد بن قلاوون مع ماكان يبدو من تناسيه لتلك الحادثة، وعلى الرغم مما كان يظن من أن هذا الجرح قد نام في أعماقه ، إلا أنه قد تكشفت بأن كل ذلك كان وهماً؛ ذلك لأن الملك الناصر لم يتناسى إلا لفترة، ولم ينم جرحه من شهاب الدين إلا لهنيهة .

والحق أن العمرى هو بنفسه الذى بدد الغبار الذى هوم على هذه الحادثة وغطاها، وصحا فى السلطان جراحه، ذلك أن القاضى شهاب الدين العمرى كان قد كتب توقيعاً بإعادة أحد رجال الدين[1] فى وظيفته السابقة، دون علم السلطان ، أو قاضى القضاة، فشكا قاضى القضاة عز الدين بن جماعة[2] ماحدث للسلطان ، فحقق السلطان فى الأمر إلى أن اكتشف أن كاتب التوقيع هو شهاب الدين العمرى، وأن أخاه القاضى علاء الدين على كاتب السر قد استحى من رد توقيع أخيه الأكبر، فأنفذ له ماأراد . فغضب السلطان، وقال

---

(١) يبدو أنه الشيخ بهاء الدين على بن سعيد المتوفى سنة ٧٥٣ هـ، ابن حبيب : تذكرة النبيه جـ٣ ص١٦٩، المقريزى: السلوك جـ٢ ص٤٦٥.

(٢) هو : عز الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة قاضى قضاة الشافعية المتوفى سنة ٧٦٧ هـ/ ١٣٦٥م، ابن حبيب : تذكرة النبيه جـ٣ ص٢٩٧ .

لعلاء الدين مؤنباً : «لاتكن تسمع من أخيك فإنه نحس، ومايقعد حتى أفعل به وأفعل به»[١] .

ويبدو أن شهاب الدين العمرى قد خاف على نفسه من هذا الوعيد من قبل السلطان، فأراد أن يبعد من القاهرة، فلم تمض أيام على وعيد السلطان له حتى كتب التماساً للسلطان يطلب منه الإذن له بالتوجه إلى دمشق ، وعلل طلبه بكثرة كلفه ونفقاته بالديار المصرية. فاشتم السلطان من ذلك رائحة الهروب. وقد تماثلت أمام عينيه، وخطر فى باله ذلك الجرح القديم الذى لحق به من العمرى سابقاً، فما كان من السلطان إلا أن أمر بالقبض عليه، وحمله إلى القلعة .

ثم رسم السلطان لطاجار[٢] الدوادار أن يعريه فى قاعة الصاحب[٣] ، ويضربه حتى يلتزم بدفع عشرة آلاف دينار، أو يموت تحت العقوبة .

ولما كان القاضى شهاب الدين العمرى مرفها ذا نعمة واسعة لم تمر به شدة أبداً، فما إن وجد الجد فى عيون الأمير طاجار الدوادار

---

(١) المقريزى: السلوك جـ٢ ص٤٦٥ .

(٢) هو الأمير طاجار بن عبد الله الناصرى الدوادار، المتوفى سنة ٤٧٢ هـ. ابن تغرى بردى: المنهل الصافى جـ٦ ص٣٦٠ رقم ١٢٢٧ .

(٣) هى دار الوزارة بالقلعة ، وبها مقر الوزير، المقريزى: الخطط ، جـ٢ ص٢٠٥ ، ٢٢٣، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣ ص٢٧٠ .

حتى رجف فؤاد شهاب الدين العمرى ، وارتعدت مفاصله، فسارع بالكتابة بخطه بعشرة آلاف دينار[١] .

وماكاد القاضى شهاب الدين يفعل ذلك حتى وقعت الحوطة على موجوده، فأخذ منه نحو خمسين ألف درهم، وباع قماشه وأثاث بيته، وأملاكه بدمشق ، حتى وصلت ماحمل من ماله مائة وأربعين ألف درهم .

ثم لم ينتهى الأمر عند هذا الحد، بل إن الملك الناصر قام باعتقال شهاب الدين العمرى بسجن القلعة فى الرابع والعشرين من شعبان سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م، وأقام فى حبسه هذا سبعة شهور وثمانية عشر يوماً . ثم أفرج عنه فى الثالث عشر من ربيع الآخر سنة ٧٤٠ هـ/١٣٣٩م[٢] .

وهكذا تعرض القاضى شهاب الدين العمرى لمحنة قاسية أليمة، دون أن يجنى مايستوجب مالحق به من أذى فى ذاته وماله. ولم يكن خروجه من السجن إلا بمصادفة فريدة . فقد حدث أن أحد كتاب الديوان كان قد اتهم بتزوير خط السلطان؛ وذلك أيام مباشرة القاضى

---

(١) ومن العجب أن الأمير طاجار هذا كان قد عين فى وظيفة الدوادارية بعناية القاضى شهاب الدين العمرى، ابن تغرى بردى: المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٢) الشجاعى: تاريخ الملك الناصر وأولاده، ص٢٥ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ١ص٣٣٢ .

شهاب الدين كتابة السر نائباً عن والده . فرسم السلطان بقطع يده، فما زال شهاب الدين العمرى يستعطفه حتى عفى السلطان الناصر محمد بن قلاوون عن قطع يد الكاتب[١]، واكتفى بسجنه. [٢]

ولما تقدم الكاتب السجين بعد أمد بإلتماس للسلطان يعرض فيه توبته، ويسأله العفو - وكان العمرى مسجونا حينئذ كما رأينا - فلما رفع الأمر لابن قلاوون، لم يتذكر صاحب هذا الإلتماس، ولا ماارتكبه من ذنب، كما لم يعرف أحد من الديوان خبره، فقيل عندئذ للسلطان، بأن القاضى شهاب العمرى هو الذى يعرف خبر هذا المسجون، بحكم مباشرته كتابة السر فى ذلك الحين.

فبعث الناصر إلى القاضى شهاب الدين العمرى لسؤاله، فشرح له تفاصيل أمر الكاتب وأسباب سجنه. فأمر السلطان إثر ذلك بالإفراج عن الكاتب، وأيضاً عن شهاب الدين؛ وذلك حين رق قلب السلطان لحال العمرى[٣] .

---

(١) ورد فى الدرر الكامنة بأن هذا الكاتب قد نفذ فيه الحكم بالفعل وقد أشكل هذا الأمر على بعض الكتاب حتى جعل القاضى شهاب الدين العمرى هو الذى نفذ فيه حكم قطع اليد، وهذا خطأ واضح، ابن حجر: الدرر الكامنة، جـ١ ص٣٣٢، ٣٣٣، على السيد على: القدس فى العصر المملوكى، ص١٤١ .

(٢) المقريزى، حـ٢ ص٥٧ .

(٣) الشجاعى: تاريخ الملك الناصر وأولاده ص٢٥ ، المقريزى : السلوك جـ٢ ص٤٨٧، الخطط، حـ٢ ص٥٧ .

وهكذا أفرج عن القاضى شهاب الدين العمرى بمصادفة غريبة لم تكن على بال أحد ، فكان القدر رحيماً به إذ أخرجه من السجن بعد محنة أليمة .

ثم إن السلطان الناصر محمد بن قلاوون لم يفرج عنه العمرى فقط، بل وقبل أن يمضى شهور قليلة من حين خروج العمرى من سجنه، حتى أصدر تقليداً فى أواخر سنة ٧٤٠ هـ بتعيين القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى كتابة سر دمشق، عوضاً عن القاضى شهاب الدين يحيى بن إسماعيل ابن محمد بن القيسرانى [(١)] . ووصل إلى عمله بدمشق فى شهر محرم من٧٤١ هـ[(٢)] .

والغريب أنه ماإن وصل إلى نيابة دمشق، حتى كان له الفضل فى إنقاذ ابن القيسرانى كاتب السر بها من قطع يده ، حيث كان الأمير برسبغا [(٣)] الحاجب بدمشق على وشك قطع يد ابن القيسرانى بمرسوم سلطانى بعذ ماصادره[(٤)] .

---

(١) عن ترجمته انظر، ابن حبيب : تذكرة النبيه حـ٣ ص١٧٠ .

(٢) الشجاعى : المصدر السابق ص٩٤، ابن حجر: الدرر الكامنة حـ١ ص٣٣٣ .

(٣) هو برسبغا بن عبد الله الناصرى، المتوى سنة ٤٧٢ هـ/ ١٣٤٢م، ابن تغرى بردى المنهل الصافى حـ٣ ص٢٨٢ ترجمة رقم ٦٦٥ .

(٤) المقريزى : السلوك حـ٢ ص٥١٢ .

وكاد القاضى شهاب الدين العمرى أن يقع فى محنة أخرى بعد عزله من كتابة السر وصحابة ديوان الإنشاء بدمشق بأخيه القاضى بدر الدين محمد بن يحيى سنة ٧٤٣ هـ، وقد رسم بالفلكية مدة أربعة أشهر؛ وذلك لكثرة الشكايات التى وصلت إلى السلطان ضده، ثم طلب إلى الديار المصرية للتحقيق معه فى أمر هذه الشكاوى، إلا أن أخاه القاضى علاء الدين على صاحب دواوين الإنشاء بالديار المصرية قد شفع له عند السلطان، فأعاده الأخير إلى دمشق مرة أخرى[١] .

وفاة العمرى :

فى عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م عم أنحاء المعمور طاعون عظيم ، حصد فيه الحرث والنسل، حتى قيل أنه راح ضحيته ثلثى سكان العالم[٢]، وقد اشتهر هذا الطاعون عند العرب بـ«الفناء الكبير» بينما أطلق عليه الأوروبيون اسم «الموت الأسود Black Death »[٣] .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٤ ص٢٠٥، المقريزى: السلوك، جـ٢ ص٦٢١، ٦٤٤ .

(٢) المقريزى: المصدر السابق ، جـ٢ ص٧٧٨ - ٧٩٧ ، ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ١٤ ص٢٢٥ - ٢٢٩ ، ابن بهادر : فتوح النصر ، جـ٢ ورقة ٢٩٥، ٢٩٦ .

(٣) حامد زيان : الأزمات الإقتصادية ، ص٤٣ - ٤٦ ، قاسم عبده : النيل والمجتمع المصرى ص٥٦، عبد الرحمن أمين : الدولة المملوكية أيام سلالة الناصر محمد بن قلاوون ص٣٤٢ .

وقد سجل زين الدين عمر بن الوردى أخبار هذا الوباء القاتل، فى قصائد كثيرة ومتنوعة، وضح فيها ماجرى على الناس من أهوال، وذلك قبيل موته بهذا الطاعون .

ومنها :

الله أكبر من وباء قد سبا	ويصول فى العقلان كالمجنون
سنت أسنته لكل مدينة	فعجبت للمكروه فى المسنون

ومنها :

فهذا يوصى بأولاده	وهذا يودع إخوانه
وهذا يهيئ إشغاله	وهذا يجهز أكفانه
وهذا يصالح أعداءه	وهذا يلاطف جيرانه
وهذا يوسع إنفاقه	وهذا يخالل من خانه
وهذا يحبس أملاكه	وهذا يحرر غلمانه
وهذا يغير أخلاقه	وهذا يعير ميزانه
ألا إن هذا الوبا قد سبا	وقد كاد يرسل طوفانه
ولاعاصم اليوم من أمره	سوى رحمة الله عبدانه [١]

وقد أخذ كل من الديار المصرية والبلاد الشامية نصيباً وافراً من هذا الطاعون الأسود، حتى مات فيهما فى هذه السنة خلائق لاتحصى ولاتعد من جميع طبقات المجتمع، وكان القاضى شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى أحد أهم العلماء الذين ماتوا فى الفناء الكبير .

---

(١) المقريزى : السلوك ، حـ٢ ص٧٨٧، ٧٨٨ .

وكان الرعب والخوف قد أخذ بمجامع قلب ابن فضل الله العمرى عندما انتشر الطاعون بمدينة دمشق، فصار يحترس ويحاذر من وقوعه وأولاده فى براثن هذا الوباء اللعين . فتشدد فى مراعات القواعد الطبية، حتى أنه قد انجمع عن الناس واعتزلهم .

ولكن العمرى مع كل هذا لم يطمئن على نفسه وعياله أمام استفحال أمر الطاعون بدمشق ، وأراد الخروج منها بعياله، فتحير فى السبيل الذى يسلكه، واضطرب فيه، فعزم أولاً على الحج إلي بيت الله الحرام ، وأخذ فى الاستعداد لهذا الأمر ، ثم عدل عن ذلك ، وارتأى الذهاب إلى بيت المقدس، فسارع بالسفر إليها ومعه أولاده . وصاموا جميعاً رمضان سنة ٧٤٩ هـ هناك .

وعلى الرغم من حذر شهاب الدين العمرى من الطاعون بالاعتزال عن الناس فى دمشق ، ثم بالفرار منها إلى القدس ، إلا أن الطاعون قد لحق به وطرق باب بيته، فطعنت زوجته أولاً - وكانت ابنة عمه - فماتت بالقدس، فدفنها بها ، ثم لم يلبث أن عاد أدراجه إلى دمشق، طائراً عقله ولبه، ولم يكد يصلها حتى لحق به الطاعون ولم يمهله فطعن، ومات يوم عرفة من هذه السنة، فلا حول ولاقوة إلا بالله العلى القدير[١] .

وهكذا مات القاضى شهاب الدين العمرى، وذلك بعد أن عاش ملء الأسماع والأبصار شهرة ولمعاناً، وذلك دون أن يبلغ الخمسين من

---

(١) الصفدى : الوافى بالوفيات جـ٨ ص٢٦٨ ، ابن حجر: الدرر الكامنة جـ١ ص٣٣٣ .

عمره، على الرغم من أنه قد ترك تراثاً عريضاً من علم وفكر وفن، وقد رثاه صديقه الوفى الصفدى بقصيدة بالغة الحزن والألم والوجد، حتى ليشعر السامع بأن ألفاظها تبكيه، وقوافيها تنوح عليه، إذ يقول فيها:

الله أكبر يابن فضل الله شغلت وفاتك كل قلب لاه
كل يقول وقد عرته كآبة واها لفقدك إن صبرى واه
فقدت بك الأفلاك بحر ترسل متلاطم الأمواج بالأمواه
ياوحشة الإنشاء منك لكاتب ألفاظه زهر النجوم تباهى
وتوجع الأشعار فيك لناظم من لطفه لشذا النسيم يضاهى
كم أمسكت يمناك طرساً أبيضاً فأعدته فى الحال طرزاً باهى
كم قد أدرت من القريض قوافيا هى نشوة الناشى وزهو الزاهى
ورسالة أنشأتها فى حانة النبا ذ حازت حضرة الفكاه
ووضعت فى الآداب كل مصنف قالت له البلغاء زاه زاه
قد خطرت على المجرة رافلاً يوم الفخار بمعطف تياه
شخصت لعلياك النجوم تعجباً ولك السهى يرنو بطرف ساه
ماكنت إلا واحد الدهر الذى يسمو على الأنظار والأشباه
من بعدك الكتاب قد كتبوا فما يجدون منجاة لهم من جاه
أقلامهم قد أملقت ورمى الردى أدواتهم ودواتهم بدواهى
وطروسهم لبست حداد مدادها أسفاً عليك مؤكداً بسفاه
أما القلوب فإنها رهن الأسى ترد القيامة وهى فيك كما هى

أبداً يخيل لى بأنـك حاضـــر تملى الفوائد لى وأنت تجاهى
فتعزفيــــه واصطبـر لمصابه ياخير مولى آمر أو ناهـــى
لازال جدك فى المبادئ صاعداً رتباً سعادتها بغير تناهى[1]

وأخيراً رجائى أن أكون قد وفقت من خلال هذا الكتاب الموجز فى إيصال معلومة مفيدة إلى القارئ العزيز. عن العلامة القاضى شهاب الدين العمرى، أحد العلامات البارزة فى عالم الكتابة الإنشائية والتأليف فى عصر سلاطين المماليك ، وعن كتابه الشيق والفريد والعميق فى نفس الوقت «التعريف بالمصطلح الشريف» .

كما أننى أنتظر بفارغ الصبر خروج هذا الكتاب إلى النور من مطبعة الهيئة العامة للكتاب فى ثوبه الجديد بعد أن قمت بجهد جهيد في تحقيق مافيه من معلومات إضافية ومتنوعة زهاء مايقرب من عشر سنوات .

هذا وبالله التوفيق والرشاد

والحمد لله رب العالمين

دكتـــور

عبد الرحمن أبو راس

---

(١) الصفدى : الوافى بالوفيات حـ٨ ص٢٦٩، ٢٧٠ .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة والمطبوعة :

ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفى ، ت ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٤م):

١ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ٥ أجزاء تحقيق محمد مصطفى - القاهرة ١٩٨٢ م .

ابن بهادر (محمد بن محمد، ت فى القرن التاسع الهجرى) :

٢ - فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر ، مخطوط مصور فى جزئين بدار الكتب، رقم ٢٣٩٩ تاريخ .

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤هـ/ ١٧٠م):

٣ - المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، من ١- ٦ تحقيق، د. محمد محمد أمين، ود. نبيل عبد العزيز - القاهرة ١٩٨٥- ١٩٩٠م .

٤ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، من ١ - ١٢ تحقيق مجموعة من العلماء - القاهرة ١٩٢٠م .

ابن حبيب (الحسن بن عمر، ت ٧٧٩ هـ/ ١٣٧١م) :

٥ - تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه، ٣ أجزاء تحقيق د. محمد محمد أمين - القاهرة ١٩٧٦ - ١٩٨٦م،

٦ - درة الأسلاك فى دولة الأتراك ، ٣ مجلدات مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٦١٧٠ ح .

ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن على العسقلاني ، ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م):

٧ - إنباء الغمر بأنباء العمر، ٣ أجزاء .
تحقيق د. حسن حبشى - القاهرة ١٩٦٩ - ١٩٧٢ .

٨ - الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ٤ أجزاء نشر د. سالم الكرنكوى الألمانى - بيروت بدون تاريخ .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م):

٩ - العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٧ أجزاء . بولاق ١٢٨٤ هـ/ ١٨٦٧م .

ابن شاكر الكتبى (محمد بن شاكر بن أحمد، ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

١٠ - فوات الوفيات ، جزءان تحقيق د. محمد بن محى الدين - القاهرة ١٩٥١م .

ابن عبد ربه (أحمد بن محمد الأندلسى ، ت ٣٢٨ هـ/ ٩٣٤م):

١١ - العقد الفريد، المجلد الأول إلى الثالث تحقيق د. أحمد يسرى العزباوى - القاهرة ١٩٩٢م .

ابن العماد الحنبلى (عبد الحى بن أحمد، ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م):

١٢ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ٨ أجزاء نشر دار المسيرة - بيروت ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م .

ابن كثير (الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر، ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢م) :

١٣ - البداية والنهاية، ١٤ جزءاً - بيروت بدون .

١٤ - تفسير القرآن العظيم، ٤ أجزاء . نشر دار الفكر العربى - القاهرة بدون .

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميرى ، ت ٢١٣ هـ/٨٢٨م):

١٥ - السيرة النبوية، ٤ أجزاء . تحقيق كل من مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبيارى ، وعبد الحفيظ شلبى - القاهرة ١٩٥٥م .

ابن الوردى (زين الدين عمر بن المظفر ، ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م):

١٦ - تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جزءان تحقيق أحمد رفعت البدراوى - بيروت ١٩٧٠م .

البيضاوى (القاضى ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازى ٦٨٥هـ./١٢٨٦):

١٧ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، بولاق ١٣٠٥ هـ.

الذهبى (الحافظ محمد بن أحمد ، ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م) :

١٨ - العبر فى خبر من غبر(ذيول العبر) .

العبر ٣ أجزاء وذيوله مجلد واحد . تحقيق أبو المهاجر محمد بن السعيد - بيروت ١٩٨٥م .

السبكى (تاج الدين عبد الوهاب بن على، ت ٧٧١ هـ/ ١٣٦٩م): .

١٩ - طبقات الشافعية الكبرى، ٦ أجزاء - القاهرة ١٩٤٨م .

السخاوى (محمد بن عبد الرحمن ، ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م):

٢٠ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٢ جزءاً . القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٣٦ م .

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

٢١ - حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، جزءان تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- القاهرة ١٩٦٧ - ١٩٦٨م .

الشجاعى (شمس الدين ، كان موجودا فى منتصف القرن الثامن):

٢٢ - تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الألفى وأولاده تحقيق الألمانية بربارة شيفر - القاهرة ١٩٧٨ م .

الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، ت ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣م):

٢٣ - الملل والنحل ، جزءان . تحقيق محمد سيد كيلانى - القاهرة ١٩٧٦م .

الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك ، ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٢م):

٢٤ - الوافى بالوفيات ، الجزء الثامن . نشر جمعية المستشرقين الألمانية - بيروت ١٩٦٨ م .

صفى الدين البغدادى (عبد المؤمن بن عبد الحى، ت ٧٣٩هـ/ ٣٣٨م) :

٢٥ - مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ٣ أجزاء .
تحقيق د. على محمد البجاوى - القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٥٥ .

الصيرفى (الخطيب الجوهرى على بن داود ، ت ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٤م):

٢٦ - نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، ٣ أجزاء تحقيق د. حسن حبشى - القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٤ م .

العمرى (شهاب الدين أحمد بن فضل الله ، ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) :

٢٧ - التعريف بالمصطلح الشريف . نشر مطبعة بولاق - بولاق ١٨٩٤م .

٢٨ - مسالك الأبصار فى الممالك والأمصار - مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٥٥٩ معارف عامة .

العينى (بدر الدين محمود بن أحمد، ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م):

٢٩ - عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان - ماتم نشره ٤ أجزاء من العصر المملوكى - تحقيق د. محمد محمد أمين - القاهرة ١٩٨٧ - ١٩٩٢م .

الفيروزابادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى ، ت٨١٧هـ/١٤١٤م):

٣٠ - القاموس المحيط، ٤ أجزاء . نشر الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٧ - ١٩٨٠ م .

القرطبى (أبو عبد الله بن أحمد الأنصارى ، ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م):

٣١ - الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠ جزءاً القاهرة ١٩٦٧ م .

القلقشندى (أحمد بن على ، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):

٣٢ - صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ١٤ جزءاً - القاهرة ١٩١٩ - ١٩٢٢م .

٣٣ - ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر. جـ١ - القاهرة ١٩٠٦م .

المحبى (تقى الدين عبد الرحمن بن محمد ، ت ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) :

٣٤ - تشقيف : التعريف بالمصطلح الشريف - رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالقاهرة تحقيق د. عبد الرحمن أمين صادق أبو راس سنة ١٩٧٩م .

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على، ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م):

٣٥ - كتاب السلوك فى معرفة دول الملوك . جـ١، ٢ تحقيق د. محمد مصطفى زيادة - القاهرة ١٩٥٧م، جـ٣، ٤ تحقيق د. سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٣ م .

٣٦ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزءان - بولاق ١٩٥٤م.

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) .

٣٧ - نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ٣١ جزءاً تحقيق مجموعة من العلماء - القاهرة ١٩٢٣ - ١٩٩٢م .

ياقوت (ياقوت بن عبد الله الحموى، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م):

٣٨ - معجم البلدان ، ٦ أجزاء - ليبزج ١٨٦٦ - ١٨٧٩م .

ثانياً : المراجع الحديثة :

أحمد السعيد . د:

٣٩ - تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة جزءان - القاهرة ١٩٦٩م .

أحمد عبد الرازق . د:

٤٠ - البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك - القاهرة ١٩٧٩ م .

البغدادى (إسماعيل باشا) :

٤١ - هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) جزءان - طهران ١٩٤٧م .

البقلى (محمد قنديل) .

٤٢ - التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - القاهرة ١٩٨٤ م .

حامد زيان . د:

٤٣ - الأزمات الاقتصادية - القاهرة ١٩٧٦ م.

سعيد عبد الفتاح عاشور . د :

٤٤ - العصر المماليكى فى مصر والشام - القاهرة ١٩٧٦ م .

عبد الرحمن أمين صادق أبو راس . د:

٤٥ - الدولة المملوكية فى مصر أيام سلالة الناصر محمد بن قلاوون رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بالقاهرة . مقدمة سنة ١٩٨٣م .

٤٦ -من قواعد تحديد الرتب فى المكاتبات السلطانية زمن سلاطين المماليك - بحث فى مجلة اللغة العربية بالزقازيق ، العدد الخامس - القاهرة ١٩٨٦ م .

عبد السلام عبد العزيز فهمى . د :

٤٧ - تاريخ الدولة المغولية فى إيران - القاهرة ١٩٨١ م .

على السيد . د. :

٤٨ - القدس فى العصر المملوكى - القاهرة ١٩٨٦ م .

فايد حماد عاشور . د:

٤٩ -العلاقات السياسية بين المماليك والمغول فى الدولة المملوكية الأولى - القاهرة ١٩٧٥ م .

قاسم عبده . د:

٥٠ - النيل والمجتمع المصرى - القاهرة ١٩٧٨ م .



رقم الايداع ٩٤/٤٣٤١
الترقيم الدولى.I.S.B.N

977-275-022-8

الـتركـى
للكمبيوتر وطباعة الأوفيست - طنطا